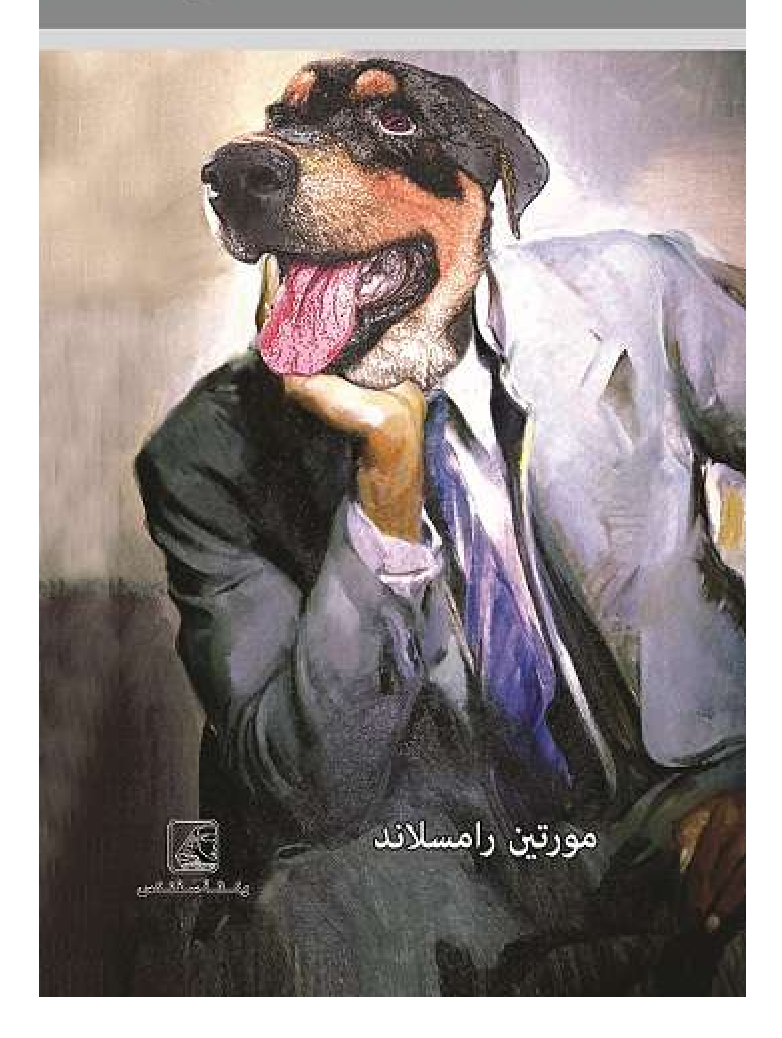
رأس الكلب



مورتين رامسلاند

رأس الكلب



راس كلب

مورتين راملاند
وكالة سفنكس
7 شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: 002 02 25792865
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com



الحنين إلى الوطن

كنت في طريق عودتي إلى وطني الدانمارك.. يقطع القطار أميالاً وأميال في سرعة مذهلة وصمت رهيب.. مررنا لتونا على أوسنابراك حينما تراءى لي أن جميع الروايات قد بدأت تعود أدراجها من حيث أتت.. تلك القصص التي أبقتني متيقظاً ليلاً الشهرين الماضيين.. تتحدث إليّ بألسنة عدة.. تجمّلها الهمسات الساحرة التي تطرب أذني.. تداعبني بها جدتي بيورك.. والتي أتذكرها حتى الآن مستلقياً في فراشي بمنزل طفولتي حيث نشأت وترعرعت.. كانت جدتي تروي لي القصص الجميلة لساعات حتى تأتي أمي لتخبرنا أنه قد حان وقت النوم.. وتدفع بجدتي خارج الغرفة.. أخبرتني جدتي عن بيرجين.. عن كل المزحات الطريفة والألعاب الشقية التي كان يلعبها الأطفال هناك.. عن أجازاتها الصيفية في نوردلاند حيث تكاد تظهر الشمس في غير أوانها.. في منتصف الليل كدُرّة كبيرة باهتة اللون.. خافتة الضوء قبل أن تسطع وتشرق في عنان السماء في صباح اليوم التالي بعدما تتسلل خيوط النهار لتقطع ظلمة السماء فتلقي بأشعتها المتوهجة على قمم الجبال وساحات الأزّقة البحرية.. لكن سرعان ما تتسابق أصوات عدة لتختلط بالقصص.. جميعها يطالب بسرد الحقيقة.

مرّت علي الأيام والأعوام بطيئة.. متثاقلة.. كنت فيها صامداً.. متماسكاً.. أشد أزري لفترات طويلة.. مرت سبعة أعوام منذ أن انتقلت إلى أمستردام في عام 1994.. قطعت فيها وعداً على نفسي ألا أترك القصص القديمة تقف حائلاً دون أن تخطّ القصص الجديدة سطورها في حياتي.. حرصت بشدة في الأكاديمية ألا يتطفل عليّ أحد أو يعبث بقطع قماش الرسم الزيتي الخاصة بي.. لم أشأ أن أرسم مثلما كان يفعل جدي أسكيلد.. فراحت تلك القصص في سبات عميق.. حتى دوجهيد كان يتسلل خلسة ليظهر بمخيلتي رغماً عني.. بجسده غير المرئي من الخزي والشعور بالذنب.. بجانب موت عمتي السمينة آن كاترين.. يليه نفيي إلى أرض الوطن حيث نشأتي الأولى.. كل ما حدث بعد ذلك أصبح في طيّ النسيان حتى شهرين ماضيين.. حينما نقضت جدتي اتفاقنا الضمني.. بعد فترة فاصلة دامت عشرة أعوام، بدأت تقذفني بوابل من قصصها مجدداً.

أرسلت لي جدتي بطاقة بريدية على مسكني في أمستردام تحمل السطور التالية: عزيزي أسجر الصغير، يركض جدك الآن في سهول شرق ألمانيا.. بدأ الخوف يتسلل إلى قلبي خشيةً ألا يعود أبداً إلى المنزل.

أخبرتني أختي ستينا في محادثة تليفونية معها منذ عدة أيام، بما دفع بالقلق ليتسلل إلى قلبي حيال حالة جدتي الصحية، قالت لي: لقد ساءت الأمور للغاية مع جدتنا.. تلك السيدة العجوز التي تدهورت حالتها الصحية بشكل ملحوظ.. فهي تتحدث الترهات طوال الوقت.. أخبرت جسبر أنه يجب علينا فعل شيء حيال ذلك الأمر.. لكننا عجزنا عن إقناعها ببيع المنزل.. بحق المسيح! لما تتمسك بذلك المنزل القديم الآيل للسقوط الذي قتله جدنا رهناً وما زال مرهوناً حتى الآن؟

لم تغفر ستينا لجدتي بيورك فعلتها الشنعاء.. حينما أبقت جثة أسكيلد ممداً في غرفة النوم لفترة طويلة قبل أن يجدوه.. بعدما بدأت تفوح رائحة جثته.. كان ذلك في عام 1997، منذ حوالي خمسة أعوام.

كنت أعلم طباع وحساسية ستينا جيداً، فقلت لها بلطف: لابد لها أن تبيع منزل الطفولة وإن كان هو متمسكاً بها، فهي فقيرة للغاية لا تعرف لأبواب الثراء سبيلاً سوى أن تطرق ذلك الباب.. وتنصاع لنصائح من حولها ببيع المنزل.

ما إن أتممت عبارتي الأخيرة حتى صاحت ستينا في غضب: وهذا أسوأ ما في الأمر، فهي امرأة لم تحظ بسنت أحمر واحد في حياتها، كان أسكيلد يستحوذ دائماً على كل سنت يدخل المنزل.. لكن فجأة نما بمخيلتها ورسخ بعقلها اعتقاد غريب أنها فاحشة الثراء.. تنعم بالمال الكثير الذي ينهمر عليها كالسيل.

استطردت ستينا قائلة: هل تدرك مدى فداحة ذلك الأمر؟ جدتنا العجوز تعتقد أنها مليونيرة.. تهذى كثيراً.. تثرثر دوماً بشأن إرثنا الذي دفنته في مكان ما هنا أو هناك.. و تدّعي أنها لا تتذكر مكانه تحديداً.

سألتها في الحال: أين هو ذلك الإرث؟

أجابتني: حسناً، يا لسخافة الأمر! هل يعقل أن تنسى مكان الإرث؟ أنصت لي جيداً، لا تصدق تلك الترهات.. أليس كذلك؟ أم إنك تعتقد في ذلك الكلام

بالفعل؟ هل تصدق وجود كنزاً مدفوناً؟ قدراً من الذهب في آخر قوس قزح؟ بالله عليك! والآن تريدني تلك العجوز أن أرسل جسبر بجاروف ليحفر للبحث عنه.. بل والأكثر من ذلك أنها تريدني أن أسدد المبلغ المستحق لفك رهن المنزل.. متعللة أنه إن عاد العم كنات من جاميكا أو عدت أنت من أمستردام، ستعيشان معاً في ذلك المنزل.. أليس ذلك سخفاً؟ من يريد أن يعيش في ذلك المنزل القديم.. مقلب النفايات المقزز هذا؟

بعدما أنهيت مكالمتي مع أختي ستينا، شعرت بالإنهاك والارتباك في آن واحد.. فلم أكن أحادث أختي كثيراً على الهاتف.. عدت إلى الأستوديو الخاص بي.. ألقيت نظرة عابرة على قطع القماش السوداء المعدة للرسم.. قبل أن تتزاحم برأسي كل القصص القديمة: الكنز المدفون، قدر الذهب الأسطوري في نهاية قوس قزح.. تهريب أكسيلد لأمواله! هل تُعقل تلك القصص، هل هي حقيقية؟ أم تسير في طريق الضلال؟

كان أسكيلد يعتقد طيلة حياته أن الألمان قد استولوا على الأموال.. فقد اقتحموا منزل الأرملة كناتسون في هاكونسجيتين.. فتشوه تفتيشاً دقيقاً.. ونهبوا كل ما فيه بعدما قتلوا الروسي الهارب واعتقلوا جدي في وقت متأخر من الليل في عام 1943.. كما حطّموا مكتب آخر رئيس.. كابتن كناتسون.. بعثروا محتويات الأرفف أرضاً.. كسروا أرفف الكتب شر تكسير.. أفرغوا الحقائب الثلاثة المليئة بالبضائع المهربة.. بينما كانت أرملة كناتسون تقف على باب الغرفة كالشبح.. تبكي بحرقة.. يسمع أصوات أنينها ونشجيها المتواصل.. لم يُجد تفتيش الألمان الدقيق للمنزل نفعاً.. لم يجدوا سوى تلك الحقائب الثلاثة.. خمسين لاصقاً أو أكثر.. أختام ضريبية وتسعة عشر كورونا نرويجية.. لم يكن لدى أسكيلد الوقت الكافي لإخفائها في الحشية وإعادة حياكتها بعد ذلك.. لحسن الحظ، أنهم لم يعيروا الحشية أي اهتمام ولم يكترثوا لتفتيشها.

عاد رجال الشرطة الألمان أدراجهم إلى سجن بيرجين حيث انهالوا على أسكيلد صفعاً مراراً وتكراراً.. يريدون منه أن يعترف ما إن كان هو من اعتدى بالضرب على الحارس الألماني في ساحة الخشب أم لا.. لكن عما يتحدثون؟ لم يفهم أسكيلد شيئاً مما يسمعه.. قال لهم أنه كان يساعد الروسي

في إفراغ حمولة الأخشاب فحسب.. سرقة؟ لم يكن يعلم عنها شيئاً حقاً – لكنهم لم يصدقوا قوله.. بل سخروا منه وأخبروه أنهم ليسوا بأغبياء.. هزّ أسكيلد رأسه بشدة نافياً ذلك وقال: لا، لستم أغبياء.. لكنني بالفعل لم أفعل ذلك!

لم يلبث أن أتم أسكيلد عبارته حتى أمسك أحد الألمان بخصيتيه وضغطهما بقوة.. فتعالت صرخات أسكيلد مدوية من الألم.. حتى أن أذنه الصماء التي كان يعاني منها الأمرين من قبل، قد شُفيت للحظة إثر اختراق صرخاته العالية لطبلة الأذن قبل أن تعود وتُصم من جديد.. بل كاد أسكيلد أن يصاب بالصمم التام من صرخاته المدوية التي استمرت لساعات طويلة متتالية.. ذاق فيها العذاب ألواناً قبل أن يصيح قائلاً: إنه الروسي بحق المسيح! اسودت الدنيا بعينيه واختفى شعوره بالألم للحظة من هول العذاب الذي ينهال على جسده الهزيل حتى خارت قواه تماماً ثم حمله أحد الحراس واقتاده وسط الظلام الدامس إلى الزنزانة.

بعد عذاب دام أسبوعاً كاملاً، قرر المحققون المجهولون أخيراً أنهم قد اكتفوا بتعذيب المجرم ولم يعودوا بحاجة إليه بعد الآن.. فأمروا بترحيله بخطاب ترحيل إلى سجن أوسلو.. برغم عدم موافقة بابا ثورستن.. من لم يتوقع حدوث ذلك بهذه الطريقة.. لكن مع مرور الوقت، عاد الحال كما هو عليه وتأقلم مع الوضع الحالي.. بينما ذهب أسكيلد إلى أوسلو في حين جرت العادات اليومية في منزل النبيل في كالفارفين على وتيرتها المعهودة: تناول العشاء في دفء عائلي.. ولعب الورق في المساء.. كان بابا ثورستن يعتقد أن إحساس ساحر جميل بالهدوء والسكينة قد ساد المكان وسيطر على أفراد المنزل حتى قطعه خبر سيئ وإنذار بخطر داهم تملكه وسيطر على ملامحه.

حينما هرع إليه صبي في السادسة عشر من عمره.. يركض لاهثاً من المكتب بالميناء وهو يصيح: رسالة لمالك السفينة.. سفنسون!

واستطرد قائلاً: لقد غرقت سفينة جينس جال غرباً نهاية البلدة!

صاح ثورستن: مجدداً؟ ثم التقط سترته على الفور وأسرع إلى المكتب معلقاً أن العالم قد أصابه درب من الجنون.. بينما كان يركض جد جدي لأمي ثورستن إلى سجن بيرجين لمعرفة المزيد والحصول على تقرير أكثر

تفصيلاً عن أحدث قنبلة مدوية تقتلع إمبراطورية العائلة من جذورها، كان جدي لأبي أسكيلد يقضي أحلك الأوقات في سجن أوسلو محدقاً في الحائط.. ثابتاً كحجر صلد.. توقفت الاعتداءات عليه بالضرب والتعذيب.. بدت السحجات والكدمات بنفسجية اللون على وجهه وقد تحولت إلى الصفرة قبل أن تختفي شيئاً فشيئاً.. كان من الممكن أن يُصدر حكماً عليه بالسجن لعدة أعوام في الظروف العادية، لكن ما إن سرت أنباء بوضع خطط وشيكة التنفيذ لنقل عدد كبير من السجناء إلى ألمانيا حتى بات جلياً أن أسكيلد إريكسون سيتم ترحيله مع بقية السجناء.

في عصر يوم ما، حينما أخبرت بيورك بابا ثورستن أنها قد حصلت على تصريح بزيارة أسكيلد، أردف بابا ثورستن قائلاً: لن أعطيك كورونا واحدة، هيهات قال، لم تعبأ بيورك بكلامه أبداً.. في صباح اليوم التالي، غادرت إلى أوسلو.. حطت رحالها على فندق صغير.. لم يُغمض لها جفن طوال الليل.. بالرغم من أنها قد حصلت على تصريح نصف ساعة زيارة لأسكيلد في الساعة الثانية والنصف عصراً، إلا إنها ظلت تجوب شوارع أوسلو منذ الصباح الباكر.. منذ الساعة التاسعة صباحاً.. بدأت تتسوق في الحادية عشر.. ابتاعت سردينا.. خبزاً .. وتبغاً .. لفّتهم جميعاً مع رسالة من والدة أسكيلد.. راندي، وعبارات موجزة منها في بطانية دافئة.. حينما دقت الساعة الواحدة ظهراً، قررت بيورك أن تبتاع ثوباً جديداً.. ترددت على العديد من المتاجر.. وفي النهاية، خرجت تجوب الشوارع مجدداً مرتدية ثوبها الجديد.. كان الوقت قد تأخر بها أكثر مما كانت تتوقع.. أسرعت الخطى نحو مدخل كارل جوهان، لكن في زاوية أكيرسجيتن، بدأت تركض لاهثة بعدما خالجها شعور فظيع بأنها ضلت الطريق.. ذلك الشعور الذي ازداد بداخلها شيئاً فشيئاً أثناء ركضها في الشوارع.. كان عليها أن تسأل الكثير عن أي طريق تسلكه للوصول إلى مقصدها حتى وصلت أخيراً إلى بوابة سجن أوسلو وكانت الساعة قد اقتربت من الثالثة إلا عشر دقائق.

قالت بيورك وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة وتضع حقيبتها أعلى طاولة التفتيش الصغيرة: جئت لزيارة أسكيلد إريكسون، لكن الحارس ظل منشغلاً عنها بقراءة أوراقه طويلاً قبل أن يتنازل ويعير بيورك أقل اهتمام.

قال أخيراً وهو يفتح ملف ويلقي نظرة بداخله: والآن لنر، ثم رفع رأسه مجدداً وقال: أسكيلد إريكسون.. لا يا عزيزتي، هذا مستحيل.. إنه في طريقه إلى ألمانيا.

ارتجت بيورك من المفاجأة قائلة: ماذا؟

عاد الحارس يرتب أوراقه بينما وقفت بيورك ساكنة لا حيلة لها وكأنها أصيبت بالشلل.. معقودة اللسان من الدهشة.. منقبضة القلب من هول المفاجأة.. تتسابق دقات قلبها المنتفض مع القاطرات وسيارات السباق التي علت أصواتها تجوب الشوارع هنا وهناك.. بعد وهلة، ربّت الحارس على يدها بلطف وأخبرها أن هناك العديد من الأماكن في ألمانيا حيث يمكن إعادة تأهيل المشردين والضالين.

في مساء اليوم التالي، بعدما عادت بيورك إلى بيرجين، جاء مرسال آخر إلى فيلا النبيل في كالفارفين.. يصيح الصبي ذو الستة عشر عاماً وهو يتصبب عرقاً قائلاً: رسالة إلى مالك سفينة سفنسون!

في هذا المساء، بعد فترة قصيرة، بينما كان بابا ثورستن يجلس منكباً على عمله ساخطاً.. لاعناً ما يجري حوله، تسللت بيورك إلى منزل الأرملة كناتسون.. احتست الشاي معها في الردهة ثم استأذنتها إن كان يمكنها الاختلاء بنفسها للحظة في غرفة أسكيلد القديمة.. حيث تلك الحشية التي قال عنها أسكيلد منذ أسبوعين: إنها يمكن أن تمحو جميع مشاكلنا، ارتسمت على شفتي بيورك ابتسامة خفيفة ما إن جالت بذهنها عبارة أسكيلد السابقة.. ثم أخرجت مقصاً كبيراً من جيبها وقصّت الحشية لتعرف ما بداخلها.

حينما اتصلت بي أختي الكبرى في صباح اليوم التالي، صاحت فيّ لتوقظني من غفلتي قائلة: يجب أن تتحمل بعض المسئولية أيضاً.. ألا يمكنك الاتصال بها هاتفياً على الأقل والتحدث معها؟

تنهدت في ضجر، فلم أكن أعتاد منها أن توقظني مرتين في الأسبوع الواحد.. أجبتها في سأم: ماذا؟

استطردت أختي قائلة: كنت أفكر، ألا يمكنك الحضور إلى المنزل لفترة قصيرة؟ سأدفع أنا و جسبر مصاريف انتقالك.. يمكنك أن تجلس في غرفة

الضيوف الخاصة بنا.. أنا متأكدة أن جدتك ستعود إلى رشدها مجدداً إن تحدثت أنت معها.
أجبتها قائلاً: سأفكر في الأمر ملياً، ثم وضعت سماعة الهاتف
منذ شهرين ماضيين قبل أن تشغل ستينا مساحة لا بأس بها من الهاتف، بدأت بيورك ترسل إليّ رسائل غامضة.. كانت أول عبارة كتبتها لي هي: أنا آسفة، لكنني لا أجيد التعبير باللغة الدانماركية، بالرغم من أنها قد عاشت في الدانمارك لمدة أربعين عاماً.. في البداية، لم أعر خطاباتها وبطاقاتها البريدية أي اهتمام يذكر.. فقد ظلت تلك الخطابات والبطاقات على مائدة المطبخ لأيام عدة قبل أن أقنع نفسي بقراءتها (نفس الشيء حدث مع خطابات أمي).. لكن ما إن بدأت في قراءتها حتى اعترتني دهشة شديدة حينما شعرت بارتباك بيورك، مرات كثيرة كانت تناديني بأسكيلد، مرات أخرى تناديني بكنات أو نيلز أو ثور.. كما لاحظت كيف أنها دائماً تعود إلى حديثها عن جدي الذي يركض في سهول ألمانيا الشرقية.
تذكرت كيف كنا على وشك أن نفقد جدنا أسكيلد بسبب براز ابن عمنا ميا قبل أن أرفع سماعة الهاتف لأحادث أختي ستينا وأطلب رقمها بإصرار.
قالت لي: أنت مجدداً؟ تتصل بي لتخبرني أنك لن تأتي.. لا تقل لي ذلك يا أسجر.
أجبتها: لا، ليس كذلك، أردت فقط أن..
صاحت ستينا: بيورك مريضة! ألا تريد رؤية جدتك قبل أن تموت؟ هناك علة بقلبها.. كم مرة يجب أن أكون فظّة ومتبلدة الحس معك لكي تدرك الموقف؟ أتريد أن أتهجاها لك؟ إنها ستموت يا أسجر.. لذا يجب أن تأتي إلى المنزل وتتحمل قليل من المسئولية.. لقد ضقت ذرعاً بأن أتحمل كل شيء على عاتقي كالمرة السابقة.
تطرقت ملياً.. همست مفكراً في نفسي: هناك علة بقلبها؟ لم تذكر جدتي بيورك ذلك أبداً في رسائلها.. لم أعرف ماذا أقول.. منذ لحظات، كان صوت ستينا يندفع عبر أسلاك الأثير قبل أن تندم على أسلوب حديثها معي قائلة: أنا آسفة، لكن ألا يمكنك العودة إلى المنزل والتحدث معها؟ جميعنا نفتقدك.. أتعلم ذلك يا حبيبي؟

رددت قائلاً: حبيبي؟
صاحت: أفتقد أخي الأصغر.. هل هناك ما يعيب ذلك؟ ثم غيرت نبرة صوتها مجدداً.. همست ضاحكة: يمكن لجسبر أن ينام على الأريكة ويمكنك أن تنام معي في الفراش مثلما اعتدنا ونحن صغار.. هيا أيها المغفل!
عزمت على العودة إلى المنزل لكن الوقت يمضي عليّ بطيئاً.. متثاقلاً وجدتي بيورك تقترب من الموت شيئاً فشيئاً.. كانت رسائلها الغامضة تناديني قبل فوات الأوان.. بعد حديثي مع ستينا، جلست على أرض المطبخ وبطاقات بيورك وخطاباتها القصيرة مبعثرة من حولي.. كانت قماشاتي السوداء تومض.. تصدر ضوءاً تحذيرياً.. لابد أن انتبه لذلك: كانت تثرثر.. تناديني.. تحثني على مزيد من الحماسة.. تدفعني للإحساس أكثر بضغط القصص المستمر على عقلي.. هاهي خواطر.. قصاصات من الماضي مبعثرة من حولي على أرض المطبخ.. سلاسل أفكار غير مترابطة تجمعها أمر واحد.. أنها أفكار سيدة مسنة مضطربة الذهن.. مشتتة التفكير.. تروي تلك الحكايات مع تغيير أسماء الشخصيات فيما بينها .. قصصاً تنتهي في المكان الخطأ.. وبدايات تُسدَل فيها حتماً ستائر النهاية قبل أن تبدأ سطورها.. بينما كنت هناك جالساً، أفحص كل تلك القصاصات، بدأ يساورني شعوري القديم بالذنب.. بدأ ينمو بداخلي شيئاً فشيئاً حتى بات إهماله أمراً مستحيلاً.. منذ ذلك الصيف، حينما عاد كنات إلى المنزل من جاميكا، شعرت بأن لي دوراً محدداً في سوء الحظ الذي دفع بعائلتي للتفكك والانقسام على نفسها.. كانت فكرة لمّ شمل العائلة مجدداً إلى جانب فكرة العودة إلى الوطن والحالة التي يمكن أن أرى عليها جدتي.. كل تلك الأفكار تتصارع بداخلي.. تجردني من أدنى إحساس بالشجاعة.. فكرت مراراً وتكراراً في فكرة العودة إلى المنزل لأيام عدة حتى أغلقت باب شقتي خلفي بقوة ذلك اليوم.. بعد الظهيرة.. بعدما حزمت حقائبي وأخذت أجرّها خلفي قاصداً محطة القطار لأعود إلى وطني مثلما قررت ستينا أنه من الأفضل لي أن أفعل.. تركت خلفي شقة غرفتين.. غير كاملة التأثيث.. مع خمسين قطعة قماش رسم زيتي فارغة.. وحلم لم يتحقق.. أن أصبح فناناً في أمستردام.. الآن، استقل ذلك القطار الذي يجري مندفعاً في صمت.. وقد اجتاز لتوه محطة أوسنابراخ..

أجلس أنا فيه.. ذلك الصبي الملعون.. فتى زر الأمان.. الكاذب كما كان يناديني أسكيلد.. تجول في ذهني فكرة أن أعقد صفقة مقايضة أبدّل فيها قطع قماش الرسم الزيتي الفارغة الخاصة بي.. والتي تركتها خلفي في أمستردام.. سرعان ما قفزت بذهني أفكار عديدة وصور جديدة لم يسبق أن راودتني من قبل.

مسرح مِيار

بعد مرور حوالي عامان بألمانيا، عاد أسكيلد أدراجه إلى وطنه.. كان هناك جالساً في حافلة بيضاء تابعة للصليب الأحمر.. كانت مهمة حركة إنقاذ بيرنادوت في أوج نشاطها.. تلك الحركة التي أخذت على عاتقها ترحيل مساجين نورديك من الخيام الألمانية إلى خارج البلاد قبل أن تجتاح البلاد تلك الفوضى العارمة الأخيرة التي تسببت فيها الحرب الشعواء في ألمانيا.. تلك الأيام كانت في فصل الربيع عام 1945.. حينما كانت تزدهر الورود بألوانها الجذابة وعطرها الخلاب.. متناثرة على جانبي الطريق.. تبدو المدن التي قذفتها القنابل .. دكّتها أرضاً وحوّلتها إلى أطلال، كغابة مليئة بألواح السقالات حيث لا تزال تنعكس أشعة الشمس على رافعاتها.. لم يكن أسكيلد يصدق نفسه.. لم يكن يتخيل أنه سيعود إلى دياره يوماً ما.. ظل يفكر في ذلك كل وهلة تمر عليه وهو في الحافلة.. أخيراً أصبح رجلاً حراً.. يمكنه الوقوف بحرية.. ترك الحافلة وقتما يشاء.. لكن من الجدير بالذكر أن كل تلك الأحداث التي مرت به تعاقبت وتسابقت فيما بينها لتمر سريعاً قبل أن يغمض لها جفن.. مروره أولاً بوحدة الإشراف على الإفراج في باتشينولد، ثم وصوله إلى المخيم الاسكندافي في نونجام.. وفجأة سرت الشائعات أمس أنه حان دوره.. ها هو الآن ينظر من خلال النافذة ليجد كل ما مرت به من أحداث تولي الأدبار.. تختفي من أمام ناظريه كمشاهد الأفلام التي اعتاد مشاهدتها شاباً في بيرجين.. بدا ذلك العالم غريباً عليه الآن.

بدأ أسكيلد يلاحظ تأثير الصرخات العالية والجلبة الشديدة على أذنه الصماء حينما توقفت الحافلة لمنح الركاب استراحة للذهاب إلى الحمام.. كان يقف على حافة الطريق، طفلان صغيران يحدقان بفضول في الحافلة البيضاء بينما كانت الممرضات ذوات القلوب الرحيمة تساعدن كبار السن من الركاب في النزول من الحافلة.. في حين يقوم سائق الحافلة بمساعدة مريض النزلة المعوية في عبور الخندق.. ثم يساعده في خلع سرواله عنه ليقضي حاجته بسرعة.. فيما مضى، كان أسكيلد رجلاً طويل القامة.. عريض المنكبين.. لكنه الآن قد تحول إلى هيكل عظمي.. يسير بتؤدة.. يجرّ قدميه خلفه بصعوبة، أصبح يزن تقريباً نصف وزنه قبل خطة بيرجين

الفاشلة.. حاولت ممرضة ممتلئة الجسم مساعدة أسكيلد بلطف في السير.. أمسكت بذراعه وهمست في أذنه بالسويدية عبارة لم يفهمها.. كانت للمستها وقع السحر في نفس أسكيلد الذي شعر بالدوار من رقتها.. لكنه ابتعد عنها فجأة وهو يزمجر.. يجرّ قدميه خارج الحافلة قائلاً: أنا لست طفلاً.

ما إن أوشك أسكيلد أن يتعثر وتُزل قدمه حتى صاحت الممرضة: انتبه لخطواتك، ثم أضافت في خوف قبل أن يسقط أسكيلد أرضاً: خذ حذرك.. احترس! لم يسمع أحد صوت طقطقة ساق أسكيلد اليسري فوق كاحله مباشرة في حين شعر هو بألم شديد.. تأوه في صمت كي لا يُسمع لصوته صدى حتى لا يلتفت إليه المارة فيشعر بالإحراج.

حينما اجتازت الحافلة الحدود لدخول الدانمارك، بدا لأسكيلد العالم بأسره مختلفاً تماماً عما شاهده من قبل.. لا وجود لرجال أو نساء.. شيوخ أو أطفال يعانون من إصابات أو جروح ناتجة عن الحروب، لا وجود لمدن قذفتها القنابل.. وكلما توقفت الحافلة في محطة ما، كانت تحاط بالجموع الغفيرة المنتظرة قدوم ذويها.. تستقبلهم بالصيحات العالية والفرحة العارمة.. فتح أسكيلد النافذة، وقد التفت الضمادات والشاش حول ساقه اليسري، ليأخذ وردة من فتاة صغيرة أصرت على تقبيله على وجنته هامسة ممسكة بيده قائلة: هذه القبلة مني لجميع أبطالنا.

لم تُكمل الفتاة عبارتها حتى دفعها ثلاثة شباب جانباً يريدون إشباع فضولهم في معرفة الكثير عما دار هناك.. يمطرون أسكيلد بالأسئلة: كيف جرت الأمور هناك؟ أيّ تهمة زجت بك إلى السجن؟

نجح جدي لأبي في البقاء على قيد الحياة بفضل مهمة الإنقاذ التي قامت بها حركة كونت فولك بيرنادوت، فقد نفد أسكيلد بأعجوبة من الموت الذي فاحت رائحته خلال الأيام الأخيرة من الحرب، فهو الآن يبحر عبر مياه أورساند الصافية الزرقاء.. بدا المنظر الطبيعي الريفي السويسري مألوفاً لديه.. لكن لا تزال هناك أسابيع عديدة على انتهاء الحرب.. وقد حظي أسكيلد بمأوى في راملوسا حيث تمكن من العناية بساقه المصابة.. وأن يتغذى جيداً أكثر مما كان عليه في السجن حيث يعانون جميع المساجين من سوء التغذية.. كان ينبغي لأسكيلد أن يشعر بالراحة، لكنه لم يتمكن من أن

يذق طعمها قط، بل بدأت تراوده أحلام عدة.. تقضّ مضجعه.. وتدمر أي أمل له في الحصول على قسط قليل من الراحة.

بدأت تراوده أحلام تذيقه العذاب طيلة حياته، فقد راوده حلم عن هيرمان هيمنينج من هرب معه من ساتشينهاوسن وفرّ في الاتجاه المقابل للطريق الذي سلكه أسكيلد.. كان وجه هيرمان المروع فحسب هو ما راود أسكيلد في حلمه.. لا، بل كان كابوساً فظيعاً، لم ير فيه أسكيلد أي مشهد من محاولة هروبهما.. لم ير فيه كلاب الصيد التي ركضت مسرعة في الصباح الباكر نحو الشجرة التي تسلقها أسكيلد بعد فراره عبر سهول ألمانيا الشرقية.. ولا رجلي الشرطة اللذين كانا يمشيان الهوينى في السهول حيث لم يجد السجين الهارب أمامه السبيل ولا الطاقة الكافية للهروب والابتعاد أكثر من ذلك.. كان أحد الشرطيين اللذين جابا السهول بحثاً عن السجين الهارب يدعى أس أس روتنفاهرار ميار.. أما الآخر كان جندياً خاصاً لم يعرفه أسكيلد من قبل.. كما لم يجول بحلمه.. أو بالأدق بكابوسه ذلك الكلب الذي غرس فكه بكاحله.. ولا تلك الضربات التي تلقاها من أعقاب البندقية والتي عانى منها كثيراً حينما كان الشرطيان يدفعانه للسير وإسراع الخطى على التلال الثلجية الصغيرة بالسهل.. حيث واصل السير حتى صعد إلى منحدر صغير.. حيث وجد رجلين في انتظاره.. كان أحدهما جاثياً على ركبتيه في الثلج.. يرتعش من شدة البرودة كأسكيلد تماماً.. أما الآخر، كان جندياً آخر غير مألوف لدى أسكيلد.. يقف مصوباً سلاحه نحو رأس الرجل الجاثي على الثلج.. سرعان ما اعترت أسكيلد دهشة شديدة حينما اكتشف أن الرجل الراكع على ركبتيه ما هو إلا هيرمان، لم تأت دهشة أسكيلد من فراغ، فقد اعتقد.. بل سيطر عليه يقين شديد بأن هيرمان تمكن من الهرب بنجاح بعدما اختارت كلاب الصيد أن تقتفي أثر أسكيلد فحسب.

قال ميار في استهزاء وسخرية: لنر من منهما لديه الرغبة أكثر في الحياة.. لكن أنا في حيرة من أمري، هل نقيم مبارزة صغيرة سريعة فيما بينهما أم نقتلهما فحسب؟ كانت تلك القصة مريعة بشعة، لم يخبرنا أسكيلد أبداً بتفاصيلها.. حتى حينما كان يأتينا سكيراً.

أعتقد أن إصرار أسكيلد على الرفض قد نما بداخله وتصاعد شيئاً فشيئاً.. لكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية للتفوه بكلمة «لا» في وجه ميار.. من كان مصوباً تجاه السجينين.. سلاحه الذي يومض في الضوء المعتم القاتم لذلك الصباح الحزين.. حينما كان السجينان يحدقان في بعضهما البعض: هيرمان هيمنينج من فرّ في اتجاه و أسكيلد من هرب في الاتجاه الآخر.. بعدما ابتعدا لمسافة كبيرة من المخيم الذي هربا كلاهما منه وكانت آخر عبارة قالها أحدهما للآخر قبل أن يتفرقا: حظ سعيد يا صديقي، لم يتخيلا قط أنهما سرعان ما سيتقابلان مجدداً.. وها هما الآن تلاقا وقد ظننا ألا تلاقيا.. يقفان وجهاً لوجه.. منكسرين.. مرتجفين من شدة البرودة.. على أتم استعداد للقتال من أجل حياتهما في مسرح السيد ميار.

صاح ميار: ليبدأ القتال.

فصاح مساعده من كان متلهفاً للحصول على مقابل ليلة كاملة من العمل المضني: لوس إيهر سكوينهاند.

كان أسكيلد وهيرمان يقفان على سهل ألمانيا الشرقية.. لوهلة، تمكن كلا منهما من تقييم منافسه غير المتوقع.. لم يتخيلا قط أن يأتي يوماً يقفان فيه خصمين لبعضهما البعض.. جال بخاطر أسكيلد أن يصيح معترضاً في وجه أس أس روتنفاهرار ميار، لكنه تراجع عن قراره وفكّر في بديل أفضل.. صاح أسكيلد: «لا!» في وجه رفيق محبسه من باراكس 24، هيرمان هيمنينج من كان له الفضل الكبير على أسكيلد في تقصير أعوام السجن.. وفي إدخال الشعور بالدفء في نفس رفيقه في الليالى الباردة بنكاته الساخرة الجميلة وقصصه المثيرة عن نشأته في أوسلو في جوار ينتمي سكانه إلى الطبقة العاملة.. رفض هيرمان بدوره نزال صديقه في خوف وذعر شديدين.. لقد صمم على أن يموت قبل أن يوسع رفيقه ضرباً.. همس هيرمان لأسكيلد: لا، لا! لكن طلقات الرصاص انطلقت مدوية فوق رأسيهما منذرة بموت محقق.. تقدم هيرمان بتردد من أسكيلد الذي أعد نفسه للقتال رغماً عنه.. والذي عاجله هيرمان بلكمة قوية.. لكن أسكيلد تفادى تلك اللكمة على الفور وسدد ضربة قوية لهيرمان في كبده.. ثم ألقى بنفسه عليه كالكلب المسعور.

تلك هي اللحظة التي يفيق دائماً عليها أسكيلد ويتوقف عن التصرف بجنون.. كان دائماً يهرب من الكلاب البوليسية حتى انكشف أمره الآن لنجد فيه وجه كلب مسعور.

بعدما انتقل أسكيلد إلى راملوسا، اقترحت عليه الممرضة أن يكتب خطاباً لأسرته.. وافق أسكيلد على ذلك.. شارد الذهن.. أمسك بورقة وقلم دون أن يدري ما يجب عليه أن يكتب لبيورك وأمه راندي أو لأبيه نيلز.

بعد قليل، بعدما انتهى أسكيلد من كتابة خطابه، أعطاه للممرضة في الحال.. لم يكن الخطاب يتعلق بأسرته في النرويج بل بوالدة بورك فيس في أولدنبرج.. طلب من الممرضة أن ترسله على الفور.. لكنها نظرت إليه متشككة في تصرفه متسائلة: ألست من بيرجين؟ لما كنت في السجن على كل حال؟

همس أسكيلد: بلا تهمة تذكر.. لكن يمكنك القول بسبب صاحبة حزمة العصي.

تساءلت الممرضة في دهشة: حزمة العصي؟

تنهد مجيباً: نعم

كتب أسكيلد في الأسبوع التالي خطاباً آخر.. هذه المرة لزوجة هيرمان هيمنينج في أوسلو.. لكنه لم يرسل أبداً.. شأنه كشأن الخطاب المرسل لأولدنبرج.

ثم حانت لحظة الإفراج.. وعاد الملك حاقون السابع والحكومة النرويجية من المنفى بانجلترا.. لكن لا زالت عائلة أسكيلد لم تسمع عنه شيئاً أبداً حتى بالرغم من إزعاج بابا نيلز للسلطات في السؤال عنه.. ومع جهود بيورك المضنية في كتابة الخطابات لكل من يجول بخاطرها.. قال دكتور ثور: ربما يكون قد لاقى حتفه في مكان ما هناك، لكن نهرته بيورك وأمرته ألا يتفوه بذلك الكلام.

سأل ابن أخت أسكيلد الصغير، أبلهيد، جدته: ألن يعود أبداً إلى المنزل؟ فأجابته ماما راندي أن الرب وحده يعلم ذلك.. استطرد أبلهيد متسائلاً: لكن هل صحيح أنه يعمل نجاراً؟ لم يكن يعرف أبلهيد من هو والده، فقد عاش مع جده وجدته لأسباب يجهلها حينما كانت تعيش والدته إينجريد في شقة ذات

غرفة واحدة بالبلدة.. فأردف الصبي قائلاً: يقال أنه يعمل نجاراً لأنه انهال على رأس رجل ألماني بعصا غليظة.

تساءلت ماما راندي في دهشة: نجار؟ ما هذا الهراء الذي تقوله؟

صاحت الممرضة في راملوسا وهي تنحني على جدي فاتر الهمة قائلة: أسكيلد.. انهض، اكتب خطاباً.. عد إلى أسرتك.. لا يمكنك أن تقضي بقية حياتك هنا.

فكر أسكيلد في نفسه ملياً وهو يحدّق بها قبل أن يدير لها ظهره وينطوي على نفسه مجدداً: لمالا؟ لعامين ماضيين، شغلت تفكير أسكيلد صورة بيورك وهي ملتفة ببطانية وردية اللون جالسة تحت أشجار القضبان في كالفارفين.. تلك الصورة الجميلة التي جعلته يتمسك بالحياة من أجلها.. كانت له دافعاً لهزيمة هيرمان هيمنينج المرتعد.. وقتاله بضراوة على سهول ألمانيا الشرقية وإرغامه على الخروج من البقعة التي كان بها.. لكن الآن، حينما واتته الفرصة للعودة إلى وطنه كرجل حر، رفضها بسهولة وقرر ألا يترك راملوسا أبداً.. بدت له فجأة صورة بيورك في أيكة أشجار القضبان الرائعة وكأنها حياة مختلفة تماماً عما يعيشها الآن.. حياة كان فيها أسكيلد شاباً.. ساذجاً.. مفعماً بالحيوية والنشاط.. فتى يعيش على أمل تحقيق أحلامه الشبابية الطموحة.. كأحلام تاجر في الثراء السريع.. من يبحر متلهفاً في أعالي البحار طامحاً في تحقيق رغبة دفينة تدفعه نحو المخاطرة والمغامرة لبناء مستقبله المترف.. لكن الآن عزم أسكيلد حقاً على البقاء في السويد.. قرر أن يبدأ حياته من جديد في بلد لا يعرفه فيها أحد.. في يوم ما، حينما لم يقم هيرمان هيمنينج المرتعد بتقييد أسكيلد في فراشه، تساءل عن إمكانية بقائه في البلاد، فأجابه رئيس الأطباء أن ذلك في الإمكان.. في الأسبوع التالي، أخذ أسكيلد عنواناً في جوثنبيرج حيث يعيش أخو زوجة الطبيب.. من يمكنه مساعدة أسكيلد.

فى صباح اليوم التالي، جلس أسكيلد على حافة فراشه.. لمدة نصف ساعة كاملة، أخذ يتساءل في حيرة من أمره وربكة شديدة: هل عليّ العودة؟ أم لا؟ أعود؟ أم لا؟

ثم عاد إلى وطنه.. بيرجين.

النجار

بدت كالفارفين كسابق عهدها.. لم يتغير بها شيء.. لكن حتى بمحطة القطار، كان الجميع يرمقون أسكيلد بنظرات غريبة.. وحينما عرج ليسير بممر الحديقة متكئاً على عصاه وقرع باب المنزل الذي طرده بابا ثورستن منه منذ أعوام مضت، لم تبد الأمور أفضل مما كانت.. بل بدت أسوأ بكثير.

ما إن فتحت له السيدة الباب ولمحت أسكيلد هزيل الجسم.. عظامه بارزة من جسده حتى علت ملامحها علامات الدهشة والتعجب متسائلة: أهذا أنت؟ أنت النجار!

أجابها أسكيلد من لم يتذكر أن رأى تلك السيدة من قبل: أنا مهندس يا سيدتي، أود أن أتحدث إلى بيورك سفنسون من فضلك.

استطردت السيدة محدّقة بأسكيلد في إعجاب قائلة: حسناً، لا أسمح أبداً بذلك.. من المؤكد أنك عاجلت ذلك الكلب الألماني بضربة قوية.

لم يكن يعلم أسكيلد أبداً أنه قد أُطلق عليه لقب النجار في غيابه بعدما نُشرت مقالة في الجريدة عن الحدث المؤسف بالميناء.

همس أسكيلد قائلاً: هيا لننهي التحدث عن تلك الترهات.. لنتخلص من هذا اللغط في التو.. هل هي بالمنزل؟

تعجبت السيدة قائلة: لا، بحق المسيح! لا، لقد أغرق الألمان سفنهم جميعاً مما أصاب السيد سفنسون بصدمة شديدة، ذلك الرجل المسكين.. إنهم يعيشون الآن في سكيفيياكن.. كان يجب عليهم بيع..

لم يمهلها أسكيلد الوقت لإتمام عبارتها، فقد استدار لمغادرة المكان قبل أن تردف السيدة قائلة: أخبرني فحسب.. كيف كان الأمر هناك؟

أجابها أسكيلد وهو يلقي نظرة حزينة على ممر الحديقة حيث كان يقف كل خميس في انتظار بيورك: جحيم على الأرض، بعدما قطع مسافة قصيرة في كالفارفين، توقف أسكيلد رغماً عنه، كان قلبه يختلج بعنف.. تتسابق دقاته كخيول سبق تتنافس للوصول إلى خط النهاية.. فقد جال بخاطره فجأة حال والده.. هل غرق بالسفينة هو الآخر؟ هل مات على خازوق بطوربيد ألماني في مكان ما بالبحر النرويجي؟ بدأت أُذن أسكيلد تصدر صفيراً مؤلماً من شدة التوتر والقلق.. قبل أن يقرر الذهاب إلى سكانسن أولاً ليرى أسرته.. لكنه عدل عن قراره بعد وهلة.. فقد عقد العزم على مواصلة سيره إلى سكيفيياكن.. حيث يتخيل أسكيلد حبيبته بيورك وهي تجلس على كرسي هزاز

في منزل خشبي قديم.. تحدّق في الفراغ.. تعلو وجهها نظرة حزينة عابسة.. لكن في الحقيقة، لم يكن ذلك كل ما تفعله فحسب.

صاح دكتور ثور وهو يسحب عملة بعشرة يورو من أُذن بيورك قائلاً: بر يستو.. مرحا! ها هو المكان حيث تخبئ دعابتها المرحة!

تعالت ضحكات بيورك.. لم تعد لثتها تنزف بعدما تابعت إصابتها مع ثور.. من وثقت به ثقة عمياء.. وكتب لها في الحال على مكملات فيتامينات تداوم على تناولها يومياً.. قبل أن تمسك بذراعه وتطلب منه أن يريها خدعة القبعة.. التي لم يكن من السهل عليه القيام بها في الردهة.. كان بابا ثورستن مستغرقاً في نومه في فراش المرض.. بينما ماما إيلين قد ذهبت إلى البلدة.. وأختها لينا لم تحضر لزيارتهم.. وبعد انتهاء الحرب، وجد أخوها إيليف وظيفة في مؤسسة لنشر الخشب في بوركيرسيو، لذا فقد سافر إلى نوردلاند.

قال لها ثور: هذه الخدعة تحتاج إلى قليل من التحضير، ما إن أتم عبارته حتى انسل إلى المدخل للحصول على قبعة بينما كان أسكيلد ساخطاً لاهثاً.. متأففاً كرجل عجوز في طريقه إلى سكيفيياكن.

صاح ثور ضاحكاً: هابرا كادا برا، ثم سحب من القبعة الطويلة زوج من المناديل بيضاء اللون وقد ظنّتهما بيورك جزءاً من الفراغ أو من حاشية القبعة المقلقلة.. فسألها الساحر: ما رأيك في ذلك؟ خدعة القبعة معروفة في الحانات..

و استمر في عرض سحره قائلاً: ترى أين كانت زوجتك مساء أمس؟ ثم سحب المناديل من القبعة متعجباً وقال: مع المدير!

ضحكت بيورك بصوت مرتفع للغاية حتى أنها لم تسمع الطرقة الخفيفة على الباب.. صاحت بيورك قائلة: افعلها مجدداً، فقال دكتور ثور وهو يركع أمام بيورك محركاً يده ليصنع دوائر في الهواء: هو كاس بُكاس.

صاح صبي صغير قائلاً لأسكيلد من ضاق ذرعاً بطرقه للباب دون فائدة: الكثير يدخلون ذلك المنزل، ما إن ألقى ذلك الصبي تلك العبارة على مسامعه حتى فتح أسكيلد الباب على الفور ثم تسلل إلى الرواق.. كان يشعر بالبرودة تتسلل لتتمكن من جسده الهزيل.. لم يستطع سماع شيئاً بسبب علة أذنه.. ثم خطا خلسة داخل الردهة في حين كان دكتور ثور يسحب المناديل البيضاء من القبعة مجدداً ويحركهما أمام أنف بيورك.. لكن..وسط ذهول ودهشة ثور، بدلاً من أن تنفجر بيورك ضاحكة كعادتها كلما قام ثور بخدعة أمامها، أطلقت صرخة مدوية وعلت وجهها علامات

الخوف والفزع لرؤيتها أمامها.. أسكيلد.. من كان نحيلاً للغاية حتى أنه بدا كصور الصحف عن يهود أوروبا التي رأتها في بيرجينز تيديند.

صاح ثور في حيرة وربكة شديدة.. وهو يضع المناديل القطنية البيضاء في جيبه: ما الأمر بحق الجحيم؟

توقفت بيورك عن الصراخ.. وخيّم صمت رهيب على المنزل الجديد في سكيفيياكن.. قبل أن يستدير أسكيلد متجهاً نحو المدخل ليبرح المكان الذي لم يلبث أن وطأ بقديمه فيه.. فهرع في الطريق كالمجنون.. يريد العودة الآن إلى منزله في الحال.. لا يريد أبداً سماع صوت بيورك.. من أخذت تركض خلفه.. وحينما حاولت جذب ذراعه، أشار إليها أسكيلد و هو يلوح بعصاه ساخراً منها ومما رآه أمام عينيه ولم يصدقه.. لقد ضاق أسكيلد ذرعاً بما لاقاه حتى الآن.. وعقد العزم على العودة إلى سكانسن بالرغم من أنه لم يذهب إلى هناك منذ سبعة أعوام مضت.

صاحت بيورك قائلاً: أسكيلد إلى أين أنت ذاهب؟ تابعته بيورك حتى مائتين متراً قبل أن تعود أدراجها إلى منزلها في سكيفيياكن، حينما كان الفتى الصغير ينادي على أصحابه قائلاً: ها قد رحل النجار! إنه ذلك الرجل من أبرح ذلك الألماني ضرباً!

تمتمت بيورك في نفسها متسائلة وهي تعود أدراجها إلى المنزل: ماذا أفعل؟

فأجابها ثور أنه يجب عليها الآن أن تختار.

تساءل ثور: إذاً، لما لا تختارني أنا؟ ثم أخذ يسب ويلعن في نفسه، فقد سئم من سحب الأرانب و المناديل من قبعته السوداء.. أرهقته كثيراً الخدع العديدة التي عرضها أمام بيورك ليثبت لها أنه مهرج ماهر.. لقد مرت اثنا عشر عاماً منذ أن رأى بيورك لأول مرة في حفل عشاء بدعوة من مالك السفينة الأول قبل أن تؤول ملكيتها الآن لذلك المخبول ثورستن سفنسون.. من كان يسيل لعابه ويتساقط الشراب من فمه في الغرفة المجاورة.. لقد سمع بابا ثورستن كل شيء وعلم ما حدث.. أراد أن يقول لبيورك: اختاري ثور.. اختاري ثور.. أراد بابا ثورستن أن يعبر عن العلاقة الحميمة تعبيراً جسدياً مثلما كان يعتاد التعبير عنها من قبل وهو بكامل صحته.. لكنه اكتفى بهز جسده في الفراش بقوة، فلم يقو على النهوض أو ضرب المائدة بعنف عدة مرات مثلما كان يفعل من قبل.

توقف أسكيلد لوهلة أمام المبنى بسكانسن.. نظر لأعلى على الشقة حيث تجلس والدته.. راندي.. مستغرقة في الحياكة بينما يجلس والده.. نيلز.. على الكرسي الهزاز وقد غلبه النعاس في حين تزايد عدد الصبية الذين التفوا حول أسكيلد يسألونه وهم يضربون بعضهم البعض على رؤوسهم بعصي موضحين له سؤالهم: هل ضربته بقوة؟

أجابهم أسكيلد في لحظة جنون: نعم! ثم أرجح عصاه يميناً ويساراً ليضفي على حديثه بعض المرح.. ثم استطرد قائلاً: لقد عاجلته بضربة شديدة، ما إن أتم عبارته حتى هتف الصبية في بهجة: أحسنت!؟ لكن حينئذ جال بخاطر أسكيلد ذلك الروسي سيئ الحظ الذي أُطلق عليه النار كالكلب.. كان ذلك الروسي في حقيقة الأمر هو من أبرح العسكري الألماني ضرباً في ساحة الخشب وليس أسكيلد كما يظن الجميع.. ما إن راوده ذلك الروسي حتى صاح أسكيلد في وجه الصبية يخزّهم بعصاه قائلاً: اغربوا عن وجهي، عليكم اللعنة! وإلا سأوسعكم ضرباً وأشوه وجوهكم لدرجة ألا تتمكن أمهاتكم من التعرف عليكم حينما تعودون إلى منازلكم.

صاح أحد الصبية: يا خبر! لقد غضب النجار!

فبدأ جميع الصبية يصيحون: هيه! هيه! بعدما أغلق أسكيلد باب الحديث معهم وتمكن بصعوبة من اختراقهم والصعود إلى الطابق الثالث.. في حين ورد إلى مسامع ماما راندي صوت صياح الصبية متهللين من الشارع أسفل المبنى.. فتساءلت هامسة: ترى ما سبب كل هذه الضجة بالشارع؟ ما إن نهضت ماما راندي للذهاب إلى الشرفة لاستطلاع الأمر حتى انفتح باب المنزل بضربة واحدة وأقبل عليها ابنها أسكيلد.

همست ماما راندي غير مصدقة ما تراه عيناها: أسكيلد! فسقطت إبر الحياكة منها أرضاً من هول المفاجأة وفرط فرحتها برؤية ابنها بعد طول غياب دام أعواماً.

في حين استيقظ بابا نيلز من غفوته على كرسيه الهزاز.. انتفض من كرسيه.. أسرع نحو ابنه في شوق ولهفة.. حينما حاول بابا نيلز أن يضم أسكيلد إليه، ارتطمت رأساهما ببعضهما البعض، فلم يكن من المعتاد أن يضم فرد من أفراد إريكسون آخر إليه.. فاكتفى كلا منهما بمداعبة لحيته لحية الآخر.. بينما أخذ يتمتم الرفيق الأول.. بابا نيلز.. المتقاعد بعبارات وكلمات غير مفهومة مخاطباً ابنه من لم يتحدث معه منذ أعوام مضت.

قال أسكيلد بفرحة عارمة وهو يلتقط عصاه من الأرض التي سقطت منه من فرط سعادته برؤية والديه مجدداً: لقد عدت الآن.. وسأظل هنا إلى الأبد، ثم جلس في هدوء على الكرسي الهزاز.. واستطرد قائلاً بادياً عليه علامات التعب والإنهاك: لكن لا يسألني أحد أي سؤال.

قالت ماما راندي في لهفة: لا بالطبع، ثم أسرعت نحو النافذة تنادي على الصبية بالشارع.. تطلب منهم أن يركضوا إلى منزل السيدة إيبسن ليخطروا إينجريد وأبلهيد بخبر عودة أسكيلد.. وصاحت قائلة بعدما أدركت أنه قد جن جنونها.. غير مصدقة عودة ابنها لها بعد طول غياب: لا يعود الابن لأمه من الموت كل يوم، ما إن أتمت عبارتها حتى ألقت نظرة أخرى على ابنها لتقر عينيها برؤيته.. لتتأكد أن عينيها لا تخدعها وأن ما تراه ليس بسراب.. ها هو ابنها الكبير ذو

الثلاثين عاماً يجلس أمامها على الكرسي الهزاز كرجل عجوز يتكئ على عصاه التي يسقط عليها ضوء الشمس الخافت يدفئ المكان في ساعات ما بعد الظهيرة فصاحت للصبية قائلة: نعم صحيح، إنه أمامي بالفعل!

لم يلبث الصبية أن أشاعوا الخبر في منزل إيبسن حتى هرعت إينجريد نحو الباب و عانقت أسكيلد في شوق ولهفة بينما وقف أبلهيد بالمدخل محدقاً في خاله من عاد إلى المنزل بعد سنين غياب.. تعلو وجهه علامات الإحباط وخيبة الأمل.

همس أبلهيد وهو يلوم أمه: أهذا أسكيلد؟ لقد تخيلته أضخم من ذلك بكثير!

التحول

بعد قليل، في نفس ذات اليوم.. يوم عودة أسكيلد إلى وطنه، دخلت بيورك الشقة في سكانسن.. لم تتبادل مع جدي سوى ثلاث عبارات ذات معنى.

قالت بيورك وهي تمسك بذراع أسكيلد: حسناً، لقد رحل الآن بلا رجعة.

سألها أسكيلد متظاهراً بأنه لا يعلم عمن تتحدث: من؟

أجابته بيورك: دكتور ثور، كانت خدعه كلها سخيفة.

بهذه الكلمات، يمكنني القول أن ثور جنارسون، الملقب أيضاً بالدانمركي لسحره المميز، قد اختفى تماماً من قصة عائلتي.. لقد قضى أحد عشر عاماً يخرج عملات من أذني بيورك الساحرة.. أحد عشر عاماً يخرج أرانب و مناديل من قبعته السوداء.. حتى وإن كان يحلم بمتعة أكثر من ذلك.. لكنها إرادة القدر ألا يحظى بمساحة في قلب بيورك كحبيبها أسكيلد.. فقد كان ثور يفتقر ما يتمتع به أسكيلد من نوع خاص من السحر الذي يعطي مساحة للآخرين للتعبير عن أحلامهم بحرية.. في حين كان أسكيلد يتمتع بشذا الإحساس المرهف وعبير الرومانسية التي تبدلت رائحته فيما بعد برائحة الكحول والمرارة اللاذعة.. لم تدرك بيورك أبداً تلك المميزات التي يختص بها أسكيلد حينما كانت تجلس في الردهة في سكانسن محدّقة في جسد أسكيلد الهزيل.. كانت متلهفة جداً لإخباره أنها قد ذهبت إلى أوسلو لزيارته في السجن.

فقاطعها أسكيلد قائلاً: دعينا لا نتحدث عن ذلك بعد الآن، بعدما تلفظ أسكيلد بتلك العبارة المقتضبة، عمّ المكان صمت رهيب.. استغله أبلهيد لصالحه.. وقد تمكن من التغلب على شعوره بالإحباط وخيبة الأمل برؤيته أسكيلد هزيل الجسم عكس ما كان يتوقع تماماً.. فطرح سؤالاً عفوياً.. قال: إذاً، هل رأيته؟ رأيت هتلر.. أليس كذلك؟

تعجب بابا نيلز وصاح قائلاً: نيلز! فنظر أبلهيد على الفور خائفاً إلى جده ذي الشعر الأبيض واليدين الكبيرتين.

تتابعت لوهلة عبارات التهديد والوعيد في المنزل كالصفعة على وجه الفتى الصغير.. قبل أن يتدخل أسكيلد قائلاً: لا، لكنني رأيت كلاب صيده يا صغيري نيلز.. أنا متأكد تماماً أنها كلابه.. لا شك في ذلك، حدّق أبلهيد بإعجاب في خاله.. من كان يتخيل عنه أموراً كثيرة.. ثم أدركت بقية العائلة أن أبلهيد أصبح الوحيد من يمكن لأسكيلد الوثوق فيه وائتمانه على أسراره.. ولسان حاله يأمر الجميع قائلاً: كفوا عن إزعاجي ومضايقتي، حتى توقفت عائلته أخيراً عن سؤاله عن أي شيء.. لكنها بدأت تزج أبلهيد عليه بالأسئلة التي تجول بخاطرهم.

همست السيدة في المطبخ قائلة: اذهب واسأل أسكيلد إن كان قد قضى كل ذلك الوقت في ساتشستهاوزن.. اذهب واسأله لما قد استغرق الأمر طويلاً قبل أن يعود أدراجه إلى منزله.. سار أبلهيد إلى الردهة ليسأل خاله ثم عاد إلى المطبخ ليخبرهم أن أسكيلد قال له أنه قد ذاق الذل والهوان كثيراً.. أنه قد عانى الأمرين.. وأنه قدم سم الفئران لكلاب صيد هتلر لكن الكلاب لم يعجبها السم قدر ما أعجبها الخال أسكيلد.

فأردفت ماما راندي قائلة: بحق السيدة العذراء! بعدما اعتُقل أسكيلد، أصبحت والدته تتردد كثيراً على الكنيسة المجاورة.. تذهب إليها كل أربعاء لتشارك في ترتيل الإنجيل في حلقة السيدات حيث كن يذهبن بعدما يذهب أزواجهن إلى عملهم في البحر.. تلك الحلقة التي كان يديرها بحزم دين إينجمان.. والتي كان لها أبلغ الأثر في نفس ماما راندي مما دفعها كل وهلة لمخاطبتها العذراء مريم قبل أن تصبح عادتها الجديدة.. لم تكن ماما راندي كاثوليكية، فقد أساءت فهم ذلك التعبير فحسب.

سمعوا صوتاً يصيح في الردهة قائلاً: ماذا يجرى هناك؟ ألا يمكن لأحد أن ينال قسطاً من الراحة في ذلك المنزل؟ أحاول أن أخلد إلى النوم!

أسرعت ماما راندي إلى الردهة لتغطي ابنها ببطانية حتى يتمكن من أن ينال قسطاً من قيلولة ما بعد الظهيرة.. همست لأسكيلد قائلة: نحن آسفين يا عزيزي أسكيلد.. وفجأة وجدت نفسها تغني له الأغاني التي اعتادت غنائها قبل النوم حينما كان طفلاً صغيراً.

لو لم يكن أبلهيد متأكداً تماماً أن الناضجين من الرجال لا يبكون، لأقسم أنه رأى خاله يبكي هناك أمامهم جميعاً، كالطفل الصغير وهو يجلس على الكرسي الهزاز في حين كانت ماما راندي تغنى له أغاني الطفولة قبل النوم.. بينما تقف بيورك أمامه.. محدّقة فيه.. شاردة الذهن.. فلم تثمر عودة أسكيلد إلى منزله في تحقيق أحلامها حيث تخيلته يعود إليها بشكل مختلف تماماً عما تراه عيناها ولا يصدقه عقلها الآن.. حتى علاقتهما الحميمة لم تسلم من التغيير بعد عودته.. لم تكن طبيعتها كتلك التي اعتادت عليها قبل اعتقاله.. حينما قضيا ليلتين في غرفة نوم والديه بينما رقد بابا نيلز وماما راندي في غرفة الضيوف، لم تشعر بيورك قط أن ذلك من يرقد بجوارها هو أسكيلد من كانت تنتظر عودته بفارغ الصبر.. لقد ساءت الأمور كثيراً على أسكيلد خلال الشهور الأولى القليلة التي قضاها في بلاده.. غالباً كان أسكيلد ينتظر أن يتعافى ويسترد حيويته قبل أن يتزوجا بالفعل.. كان ينتظر أن يكسو جسمه القليل من اللحم لكي يبدو بشكل أفضل في صورة الزفاف.. في حين كانت تشعر بيورك أن شيئاً حيوياً ينقصها.

حينما رقد أسكيلد وبيورك معاً أول ليلة، طلبت منه بيورك ألا يمارس الحب معها حتى يبارك القس زواجهما، فأومأ أسكيلد موافقاً.. كئيباً.. شارد الذهن.. قبل أن يستلقي في فراشه ويغط في نوم عميق دون أن يبادر حتى في مداعبتها كعادته دوماً قبل التحول الذي طرأ على شخصيته و تصرفاته وأفعاله.. لكن لم يكن ذلك الموقف هو أسوأ ما في الأمر.

الأسوأ أنه رفض أن يخبرها بما مرّ به في الأعوام التي قضاها في ألمانيا.. مما اضطرها أن تعتمد على تقارير أبلهيد.. ذلك الصبي ذي الستة أعوام بالرغم من أنها غير مترابطة إلا إنها حاولت جاهدة الربط بينها نوعاً ما.

في حين كان هناك الكثير الذي تريد بيورك مناقشته مع أسكيلد.. يشمل ذلك على سبيل المثال، حقيقة أنها علمت كل شيء عن أنشطته الخاصة بالتهريب.. وأخفت المال بالمنزل في صندوق أسفل السرير.. وقد حاولت مراراً في كثير من المناسبات أن تبوح لأسكيلد بما تكتم.. أن تظهر له ما تخفيه عنه.. لكن لم تجد مبادرتها نفعاً.. لم يشأ أسكيلد أن يتذكر أيامه السابقة كمهرب كبير.. لقد قرر أن يبدأ من جديد.. يخطو خطوات ثابتة نحو مستقبل أفضل.. تاركاً خلفه الماضي بما فيه من أتراح ومآسي.. بالرغم من خوفه أن ينسى معه شوقه وحبه الجارف لبيورك من كان يتوق لمبادلتها الحب حينما كانت جالسة هناك ملتفة في بطانية وردية اللون تحت أشجار القضبان في كالفارفين.

بعدما عاد أسكيلد إلى المنزل بأسابيع، جالت بخاطره في كثير من الأحيان فكرة أن يترك الشقة في سكانسن، لكن كلما تراوده تلك الفكرة، يصطدم بالتحول الغريب الغامض الذي طرأ على شخصيته منذ عودته إلى بلاده.. في حين يحتشد الصغار حوله في فرحة عارمة وكأنه بطلاً عاد منتصراً إلى أرض الوطن.

يصيح الصبية: ها هو قد عاد النجار! أرنا كيف أبرحت ذلك الكلب الألماني ضرباً.. أرنا بعصاك.

لقد انتشرت الشائعات حول أسكيلد إريكسون، ذلك المهرب المجرم كالنار في الهشيم.. لقد حظي جدي بكثير من نظرات الإعجاب والحب وكأنه البطل المغوار.. كلما سار أسكيلد في طريق في بيرجين، كان يقابل تلك الوجوه المحبة المعجبة.. تبتسم له.. تومئ إليه في فخر.. تحييه كمحارب حرر بلاده من الاستعمار.. أصوات المارة تتردد في أذنيه قائلة: طاب صباحك يا سيدي.. مرحباً بعودتك إلى بلادك، لم يلبث أن قضى شهوراً قليلة في بيرجين قبل أن يقرع باب أسكيلد في سكانسن.. ثلاثة خفراء ودودون.. أرادوا مكافأة والدي.. والذي لا يدرى ما يحدث حوله.. من تسلم

منهم.. فاغراً فاه.. تعتريه علامات الدهشة والتعجب.. رباط ذراع ميلورج.. وسام الفخر والتميز المعروفة بين محاربي المقاومة.. يقدمونها عرفاناً بشخصيته البطولية القيادية وشجاعته المتناهية.

بينما ظل عسس السجن طوال شهور الصيف، يتلصصون على أخبار أسكيلد.. يكيلون لبيورك الاتهامات.. ينهالون عليها ضرباً.. لكن لم يعد في قوس الصبر منزع.. لم يطيقا أسكيلد و بيورك الانتظار أكثر من ذلك: دقت أجراس العرس في بيرجين تتردد صداها في المناطق المحيطة بها.. أذن لأبلهيد أن يكون أشبين أسكيلد.. بينما رافق إيليف أخته بيورك وهي تنزل في جناح العرس بالكنيسة.. ذلك الرجل من قطع مسافات طويلة من بوركيرسيو للعودة إلى وطنه ومشاركة أخته فرحتها بعرسها المنتظر.. ها هو ذا يسير مع أخته على ممشى قاعة الكنيسة.. يغمز لصديقه القديم ورفيق كأسه أسكيلد.. من بدا متعافي تماماً.. وقد كُسيت عظامه لحماً أخيراً ليبدو بشكل أفضل في صورة الزفاف.

حينما سمع بابا ثورستن أجراس الكنيسة، نهض من فراشه.. ترنح بتؤدة حتى خرج من المنزل إلى الطريق.. حيث شعر باختناق وصعوبة في التنفس قبل أن يسنده العامة حتى ينضم لاحقاً إلى موكب العرس.. لكن العريس نفسه قام بحمل الرجل العجوز إلى فراشه مجدداً.. لم يشأ أسكيلد أن يتذكر الماضي بعدما عزم على محوه تماماً من ذاكرته.. لم يرغب في الشعور بأي أحاسيس مريضة بعد الآن.. ابتسمت بيورك وهي تنظر إلى عريسها.. تشعر بالدفء والطمأنينة تسري في جسدها من حرارة إيماءاته الجذابة.. ثم سار موكب الزفاف في طريقه إلى سكانسن.. تتعالى أصوات الموسيقى والغناء والرقص في حين كانت ألمانيا بعيدة كل البعد عن الأنظار وعن مخيلة أسكيلد المسكين الذي لم يعد يطيق تذكر ما حدث له هناك.

يا لها من بداية رائعة لحياة جديدة.. لكن لم يشأ القدر لأسكيلد أن ينعم بها تماماً.. كانت صورة بورك فيس المهشم وهيرمان هيمنينج المرتعد تقضّ مضجعه وتؤرقه في نومه.. كل ليلة على مدار الأعوام العديدة التالية، كان يستيقظ فيها أسكيلد الساعة الرابعة صباحاً على أصوات عواء كلاب الصيد.. فأصبح جدي بذلك يتمتع بشخصية حاسمة في قراراتها.. كشخصية أس أس روتنفاهرار ميار من كان يصيح ليحث على استمرار تعذيب السجناء قائلاً: استمر في عملك.. فيصيح الشرطي الخاص مردفاً: لوس إيهر كسونهاند.

فينتفض أسكيلد من نومه مذعوراً على تلك الصيحات الفظيعة.. يتناول فطوره في منتصف الليل في حين تئن وتتمتم بيورك أثناء نومها قائلة: عُد إلى فراشك يا أسكيلد! ولسان حالها يصيح عنها قائلاً: عُد إلى هنا.. مارس الحب معي.. كُن لي زوجاً سوياً! .. بالطبع كان لكل ما يراود أسكيلد في أحلامه أبلغ الأثر في حياته الزوجية.. كان يفرض القيود على العلاقة الحميمة بين أسكيلد

وبيروك.. عامان في المخيم العام بألمانيا، قد مضيا، لكن يبقى الحال كما هو عليه.. لا زالت الصور المرعبة تطارد أسكيلد في أحلامه وتمنعه من الشعور بلذة القرب من حبيبته بيورك.

مولود جديد في مرحاض قديم

كانت الظلمة تغلف المكان حينما توقف القطار الذي استقلته في بلدتي.. وسرعان ما قفزت في حافلة المدينة.. لم يستغرق الأمر طويلاً حتى فاجأت أختي ستينا وهي تخرج القمامة خارج المنزل.

قالت لي مبتسمة: أن تتأخر خيراً من ألا تأتي أبداً

مرّ عامان منذ أن رأيتها آخر مرة، لم تتغير كثيراً.. لا زالت تتمتع بلمحة وملمح عروسة البحر كسابق عهدها.. ما إن قذفت ستينا بكيس القمامة في صندوق القمامة حتى أسرعت نحوى لتقبّلني.. وقفنا أمام المنزل لوهلة في الظلام.. متقاربين من بعضنا البعض بعد طول غياب.. ثم جذبتني إلى الداخل.. فإلى غرفة الجلوس حيث يجلس الببغاء كاي على مجثمه.. يضرب بجناحيه الهواء في عصبية.. قبل أن يثرثر بغير وضوح قائلاً: من هناك؟ بعد ثوان معدودة، دخل طفلا ستينا مسرعين ممسكين بأنف مستعار ما أشاع الفوضى والشجار فيما بينهما.

صاحت ستينا: كفى! ضعا تلك الأنف جانباً ورحبا بخالكما

سأل الطفل الكبير ناظراً إليه في فضول: هل أنت من تخاف رؤوس الكلاب؟

صححت له أمه ستينا العبارة مبتسمة في حرج شديد: كان يخاف.. لم يعد خائفاً من رؤوس الكلاب.. إنه رجل ناضج الآن.. أليس كذلك؟

لم أعلم تحديداً ما يجب عليّ قوله معقباً على ذلك الكلام.. لكنني أحببت استخدام الطفل لصيغة الجمع: رؤوس الكلاب.. تبدو كلمة عفوية جميلة.. لكن في الحقيقة كانت هناك رأس كلب واحدة وهي ما ظللت أفكر فيها فيما بعد.

سألت الطفلين: هل يمكنني أن أرى تلك الأنف؟

فوجدت نفسي أمسك بأنف بلاستيكية ناعمة تبدو كأنف حقيقية تماماً.. إنها مخيفة حقاً..

سألت ستينا وأنا أكيل الأنف بيدي: ألا يستخدمها الآن؟

أجابتني: لا، إنه يفرط في التدخين.. فتصبح صفراء اللون

وضعت الأنف المستعار جانباً على منضدة قريبة.. لا زال جسبر في عمله.. حينما جلسنا فيما بعد في غرفة الجلوس لشرب كأس من الخمر، لمحت لوحة من لوحات جدي أسكيلد القديمة معلقة خلف باب في مكان بعيد عن الرؤيا.. كانت تلك هي اللوحة التي كانت معلقة يوماً ما في منزل طفولتنا، لقد علقها والدي كي يتحاشى وقوع المشاكل مع جدي.. وها هي الآن الوحيدة التي بقيت من جميع لوحاته الزيتية.. تصور اللوحة وجه إنسان بطريقة أسكيلد التكعيبية المقتبسة.. وهي الطريقة التي لاحظ جدي أن كبار الرسامين بيكاسو، براخ، وسيزان كانوا يستخدمونها في أعمالهم في أواخر الأربعينات.. كان جدي أسكيلد مغرماً بلوحة بيكاسو أمبرواز فولار التي تذكره بنفسه،

ولوحة الكمان التي تذكره بالصفير الشديد في أذنه اليسري.. ولوحة باذرز والقارب اللعبة وهي توضح صورة كاتارينا وسط ضباب الصباح.. هذا ما أخبرني به جدي قبل سفري إلى أمستردام.. حينما كنت أعود من سفري، كنت أذهب لتناول قدحاً من القهوة مع جدي.. في حين أستعير بعض كتب الفنون لقراءتها في منزلي.. أو مثلما كان عادة يقول جدي أسكيلد: قد مررت عليهم لأستعير كتبه.

ربما كان محقاً.. لم أكن لأذهب لرؤية جدي وجدتي مراراً لو لم يكن ذلك من أجل استعارة كتب الفنون الخاصة بجدي.. التي وجدتها مذهلة حقاً.. لقد كان ثمة شعور مؤلم مرتبط بتلك الزيارات.. فحينما أزورهما لم أكن أحب أبداً النظر إلى صور والدي المعلقة على الحائط.. كما لم أكن سعيداً قط بوجود تلك السيدة العمياء الصماء العجوز في الغرفة التي كانت لعمتي آن كاترين السمينة من قبل.. لم تكن ماما راندي.. والدة أسكيلد تفعل شيئاً سوى الجلوس هناك مع كنوزها القليلة من الزمن الماضي: الكتاب أسود اللون الذي يحوى تفاصيل جميع المشاغبات والشقاوات التي قام بها جدي أسكيلد في صغره وصور العائلة على الحائط، لم يكن يضايقني وجود ماما راندي غير المعتاد في المنزل.. فهي تجاوزت المئة عاماً بكثير – لكن ما يضايقني أكثر هو غياب عمتي السمينة و شعوري بالذنب أنها باتت ذكرى تثار في عقلي .. بل الأسوأ هو شعوري بالشك الذي ظل ينهش بعقلي دون رحمة: هل علموا أنني قتلت آن كاترين؟

أخبرت ستينا عن تلك الزيارات لكنها لم تكترث لذلك أبداً، قالت لي مبتسمة: الأجدر بك أن تحدثني عن أمستردام.. لم أعرف أي شيء عن أي شيء ، نظرت إليّ نظرات تشجيع تحثني على الحديث.. لكنني لم أشأ الحديث عن أمستردام.. بدلاً من ذلك، ذهبت لأخلع اللوحة من على الحائط.. أعتقد أن ستينا تتوقع مني الآن محاضرة مطولة عن الفن التكعيبي.. لكنني لا ألقي ذلك النوع من المحاضرات بعد الآن.. أعتقد أن التفكير في التكعيبية لم يكن يشغل مساحة كبيرة من تفكير جدي أسكيلد.. على الرغم من أن جدي هو من اكتشف روح الفن التكعيبي بداخله.. ربما كانت روح التكعيبية موجودة دائماً بعقله.. ربما أثارها بقاؤه في ألمانيا.. كان أسكيلد يرسم بنفس الدوافع تقريباً في أغلب سنين حياته.. أناساً وأشكالاً بطريقة غير تكاملية حتى عام 1995، حينما أصيب بسرطان المعدة وأحرق تقريباً جميع لوحاته.

بعد ذلك، غيّر أسلوب وطريقة رسمه.. وبدأ يرسم مناظر طبيعية.. في النهاية، حدث تغيير ما.. طرأت تغيرات وفقاً لمتغيرات داخلية في نفس جدي.. لكن حدث أن بدأ جدي يضع نفس الخطوط واللمسات على لوحاته.. بدأت تراوده نفس الفكرة حينما يرسم على قماشاته مراراً وتكراراً.. خلال هذه الفترة، لم يحظ زواجه من جدتي بيورك بقدر كبير من النجاح.. لم يقتربا حقاً من بعضهما

البعض إلا في الأعوام الأولى من حياتهما مع ماما راندي وبابا نيلز على حسب ما تجزم به بيورك على الأقل.. بعد زواجهما، حينما دفعت راندي بفراشيهما جنباً إلى جنب وقالت: حسناً، الآن تبدأ حياتكما الزوجية، كانت تلك هي الفترة التي اقتربا فيها جسدياً من بعضهما البعض.

سألت ستينا.. تعلو وجهها ابتسامة مهذبة: اقتربا من بعضهما البعض، هل كان جدي وجدتي مقتربين أبداً من بعضهما؟

أجبتها: أعتقد أنهما كانا كذلك.

فاستطردت ستينا قائلة: أنصت لي يا أسجر، طوال هذه المدة حينما كانت جدتنا تجلس على حافة فراشك وتروى لك القصص.. بالطبع لا تحاول إقناعي أنها كانت تحكي لك شيئاً عن حياتهما الجنسية؟

كثيراً ما راودت بيورك لحظات شك.. تعجبت فيها مما حدث لزوجها الصامت.. ذلك الرجل الوسيم.. الأكثر إغراءاً الذي حلمت به في أيام شبابها في فيلا النبيل في كالفارفين.. بدا أسكيلد لها رجلاً عديم الخبرة في الحياة الجنسية.. بعد مرور أسابيع قليلة، قالت بيورك لأختها الكبيرة وهي تتذكر وجهه المفزوع الخائف حينما أيقظته من نومه ليلاً ليلة زفافهما: إنه يتصرف كفتى يجرى اختباراً في لجنة الامتحان.

سألها أسكيلد: أليس من الأجدر بنا الانتظار؟ لقد قلت لي ذلك على كل حال.. لكن بيورك اعتقدت إنها انتظرت طويلاً حقاً.. فتسلل إصبعها ليداعب شفتيه هامسة: إذاًَ، أرني ذلك.. أرني كيف يحدث ذلك، ما إن أنهت بيورك همسها حتى زحف أسكيلد بتردد إلى فراشها.. صعد على جسد زوجته كرجل يتسلق جبل غادر غرار شاهق الارتفاع.. لكن بدأ أسكيلد يتفاعل مع نفسه.. يشبع رغبته ذاتياً.. تعلو وجهه نظرة عناد وتحدي حتى شعرت بيورك بجسدها يصرخ ألماً وحزناً مما ألم بحبيبها حتى أن شعورها القديم بالشك نحوه سرق كل ما تبقى لديها من شجاعة.. حينما نجح أخيراً في الإتيان بها، كان الشعور بالإحباط قد تملكها تماماً.. تذكرت يوماً ما حينما كانت فتاة صغيرة أنها سألت أمها من أين يأتي الأطفال.. فأجابتها ماما إيلين أن الأطفال يأتون من طواعية أنفسهم حينما تفرط المرأة في شرفها وتقوم بواجبتها الزوجية نحو زوجها.

ظلّت بيورك بعيدة عن فراش أسكيلد طوال الليالي الثمانية التالية.. لكن في الليلة التاسعة، زحفت إلى فراشه.. همست في أذنه قائلة: أرني مجدداً كيف يكون ذلك.. ثم استطردت: لقد أبليت بلاءاً حسناً في المرة السابقة، رقدت بيورك إلى جواره.. أغمضت عينيها في انتظار حدوث المعجزة.. هذه المرة على الأقل لم يبد مذعوراً خائفاً.. نظر أسكيلد إلى جسدها لفترة طويلة في الضوء الخافت بينما تسللت يداه لتكتشف الثنيات والفلقات والأماكن الحساسة التي لم يلمسها رجل

قبله.. شعر أسكيلد حينئذ بكل لذات الدنيا.. أغمض عينيه.. لكن حينما فتحهما مجدداً على يديه وهما تداعبان جسد بيورك العاري في حين كانا مستلقيان في الفراش كالبدائيين اللذين لا يكاد يغطى جسديهما شيئاً، اختفت مشاعر الرغبة واللذة بداخله، فقد كانت تلك اليدان هما اللتين ضربتا رأس هيرمان المذعور في الأرض في سهل ألمانيا الشرقية.. فسرعان ما سحب يديه بعيداً بغتة.. تعلو وجهه علامات الخوف والذعر.. بينما ظنّت بيورك أن زوجها يداعبها.

قهقهت قائلة: يا لك من ولد شقي.

فتح أسكيلد زر سروال البيجامة وبدأ يتحسس نفسه ويضغط على عضوه كي يشعر على الأقل أنه يقوم بواجباته الزوجية تجاه زوجته.. لم تفهم بيورك ماذا حلّ بمشاعره الجياشة وطريقته الساحرة في مبادلتها الغرام.. هذه المرة أيضاً، بدأ يتفاعل مع نفسه ويشبع رغبته ذاتياً.. فعادت بيورك إلى فراشها.. يتملكها الإحباط وخيبة الأمل.. في صباح اليوم التالي، استيقظت بيورك على شعور بالخجل والارتباك، فقد راودها حلم عن دكتور ثور وجميع الأشياء المذهلة التي كان يخرجها من قبعته السوداء.

منذ أن دفعت راندي بفراشيهما بالقرب من بعضهما البعض، قررت بيورك أن تمسك بزمام الأمور وألا تفكر في ثور أبداً.. بالرغم من أنهما قاما مرتين بالعلاقة الحميمة إلا أن أصابع بيورك لم تلمس أسكيلد قط.. بينما كانت تستكشف خبايا جسد أسكيلد في ظلام الغرفة، لاحظت بيورك كيف كان جسد زوجها نحيلاً.. بارز العظام.. حينما استجمعت جرأتها لتتحسس عضوه الذكري، لم تتمالك نفسها من القهقهة قليلاً.. كان مميزاً للغاية.. صلباً وناعماً في آن واحد.. كذلك كانت هاتان الكرتان مميزتان كحجم بيض اليمام.. التي أخذت بيورك تداعبهما بأصابعها.. دون أن تعلم أن آخر شخص لمس مكان أسكيلد الحساس هذا، هو محقق ألماني في سجن بيرجين.. همس أسكيلد: خذي حذرك، في حين تلاقت عيناها بعينيه، جال ببالها أن أسكيلد كان كالطفل.. عاد إلى منزله بعد رحلة طويلة كئيبة.. وضعت بيورك يدها خلف رأس أسكيلد.. جذبتها للأمام إلى صدرها.

همست في أذنه: هنا سيكون كل شيء على ما يرام، في حين استمرت بيورك في اكتشاف جسد أسكيلد بيدها الأخرى.. يحفزها ويثيرها أنات أسكيلد وأنفاسه الدافئة على صدرها الدافئ حتى اندفع سائل ساخن حول معصمها مما دفعها لتطلق ضحكة عالية.. كل ملاحظات ماما إيلين عن تفريط الفتاة في عذريتها كانت هباء حينما اقترح هو أن يتبادلا الفراش حتى ينام هو في الفراش المبتل بدلاً منها.. يسيطر عليه شعور بالانتصار مثلما يشعر زير النساء بعدما يأتي بفريساته.

أخبرها أسكيلد أن ذلك هو واجب الزوج في العلاقة الحميمة.. فكرت بيورك أن ذلك لن يغير في الأمر شيئاً.. فهو قليل الكلام في الصباح ورافض الحديث ليلاً حينما يتمكنا من القيام بعلاقتهما

الحميمة معاً في الظلام الصامت.

استمرت مطارحتهما الغرام في الظلام طوال الشهور التالية.. بدأ فضول بيورك نحو جسد الرجل يتلاشى شيئاً فشيئاً.. وشعرت بالسعادة كثيراً حينما رسخ بعقلها اعتقاد أن الرجل والمرأة مخلوقان مختلفان عن بعضهما البعض.. لا يبادلان بعضهما البعض الحب إلا في الظلام فحسب حينما تسدل ستائر الغرفة.

بعد زواجهما بوقت قصير، وجد أسكيلد وظيفة في ساحة السفن في بيرجين.. بالطبع كان عليهم أن يعينوا ذلك المهندس الشاب.. لاسيما أنه حاصل على شارة ميلورج.. فبدأت بيورك تستيقظ الساعة الخامسة صباحاً لتعد الشاي لأسكيلد الشاحب الذي بدأت علامات الإجهاد والتعب في العمل تسيطر على ملامحه.. أصبح يجلس كل يوم في الردهة محدقاً في الفراغ يتملكه شعور غريب بالعزلة والوحدة.. بينما تنشغل بيورك عنه بإشعال النار في الموقد الخشبي.. تنظيف سترته.. كيّ سراويله.. وربط ربطة عنقه.. ثم تهمس في أذنه قائلة: أتمنى لك يوم عمل سعيد، إنه عملك ثم عدّ إلى المنزل مباشرة.

لم يلفت نظرها قط رائحة الكحول التي بدأت تفوح من فمه حينما كان يعود من ساحة السفن.. لم يساورها الشك حياله، فقد كان يمارس علاقتهما الحميمة دون تغيير يذكر.. بينما أثر الكحول تأثيراً إيجابياً كبيراً على شخصيته، فقد ساعد في محو شعوره بالعزلة والوحدة.. وأباده إلى غير رجعة.. كان أبلغ دليل على ذلك عودته إلى منزله سكيراً ومعه اسطوانة موسيقى الجاز الذي استعارها من زميله إينجولف فيسكر.. بدأ أسكيلد يرقص في الردهة.

تعجبت ماما راندي التي كانت نادراً ما تبدى تعليقاً عكس والد أسكيلد تماماً و تسائلت: لما كل هذا الصخب؟

صاح والد أسكيلد: ابني يسمع موسيقى الزنوج! كانت تلك العبارة هي التي حثت أسكيلد على التعقيب قائلاً أن موسيقى الزنوج ممنوعة في الجيل الثالث.. قبل أن يواصل رقصه.

في يوم من الأيام، أحضر أسكيلد مسند للوحات الرسم في المنزل.. ثم أعلن أنه يريد أن يكون فناناً مما دفع ماما نيلز أن تقول: لقد جن جنون ابني تماماً! علت وجه أسكيلد علامات الدهشة والتعجب قبل أن يخرج من جيبه لوحة مطوية لبيكاسو.. صورة أمبرواز فولار.

قال أسكيلد وهو يفرد اللوحة على المائدة في غرفة الطعام كما لو كانت خريطة كنز مدفون: أترييان من هذا؟

أجاب أبلهيد: دين إينجمان؟

قال أسكيلد مربتاً على رأس ابن أخته: لا

اقترحت ماما راندي من لم تر في حياتها لوحة بمثل هذا السوء: كويسلينج؟

قال أسكيلد: لا

قالت بيورك وهي تلقى نظرة خاطفة على العنوان يميناً أسفل اللوحة:

هل يمكن أن يكون السيد فولار؟

أجابها أسكيلد وهو يقبّلها على وجنتها: نعم ولا في آن واحد.. دعوني أفسر لكم سؤالي.. من يمثل ذلك من في الصورة إلى جانب أمبرواز فولار؟ حينما لم يجد سؤاله أية إجابة من قبلهم جميعاً، استطرد أسكيلد قائلاً: إنه أنا.. ألم تلاحظوا ذلك؟ لكن بالفعل لم يلحظ أحد ذلك.. باستثناء بيورك.. من راودتها في عقلها أفكار فظيعة.. أليست تلك اللوحة تشبه صورة أسكيلد التي عجزت هي عن تجميع أجزائها؟ وهل كان صحيحاً أنه لا يوجد أي ترابط بها؟ كانت الصورة عبارة عن تراكم لأجزاء متقطعة وزوايا حادة مزّق بها الرسام أفكاره إرباً؟ لم تلبث أن راودتها تلك الأفكار حتى طردتها في الحال وقالت: هذا هراء يا أسكيلد.. إنك لست بهذا العمر المتقدم ولا بهذا القبح الواضح في الصورة.

ما إن أتمت بيورك عبارتها حتى سيطر على ملامحه تعبير جرح مؤلم غائر.. لم يتفوه سوى بعبارة واحدة: يا لكم من ريفيين!

بعدما تعرفت العائلة على الطريقة التكعيبية التي تبناها بيكاسو في لوحاته، بدأت تفوح من أسكيلد شذا الكحول والعطر أكثر من ذي قبل حتى أصبح لشذاهما رائحة نفاذة.. كانت رائحة زيت التربنتينة الذي يسكبه في قدر صغيرة معدنية حينما يجلس أمام قماشات رسمه ويبدأ في أرجحة فرشاة الرسم الخاصة به يميناً ويساراً بعدما ينتهي من عمله وفي أيام الأحاد.. كثيراً ما كان يقطب حاجبيه.. يعبس.. يلعن بصوت مرتفع.. حينما يتضح له أنه يفتقر الموهبة الفطرية.. في البداية، بالكاد لاحظت بيورك تلك الأوقات القليلة التي يجلس فيها أسكيلد في الردهة ليلاً ومعه مسند لوحاته.. فرشاة الرسم..ورائحة التربنتينة تفوح منه.. كانت تضطر للذهاب إلى النوم وحدها حتى الصباح.. حينما تستيقظ مبكراً.. تقوم بواجباتها الزوجية مجدداً كالعادة.. تقوم بكيّ قمصانه.. يعبئها عبق الكحول والعطر والتربنتينة الذي كانت تقارنه لا إرادياً بشذا العطر الناعم الذي كانت تشتمه حينما تقابل دكتور ثور.. كان ثمة شعور عنيد بداخلها يرفض تلك المقارنة تماماً.. كما ترفض أن تميل بقلبها لأحد غير أسكيلد.. حينما قبّلت أسكيلد في الصباح قبل أن يذهب إلى عمله في ساحة السفن، فكرت ملياً في نفسها: ماذا عن علاقتنا الحميمة؟ ماذا حدث؟ لكن ما إن تباعدت خطاه عن المنزل في طريقه إلى عمله متكئاً على عصاه.. ما إن اختفى عن ناظريها حتى تلاشت كل مخاوفها.. تبدد تماماً شعورها بالقلق.

في ليلة من الليالي، استيقظت بيورك فزعة.. وهي تتصبب عرقاً في فراشها، لقد راودها حلم غريب حقاً.. أن زهرة عباد الشمس بدأت تنمو في رحمها.. في صباح اليوم التالي، بدأت بيورك تشعر بآلام في معدتها.. بعدما ذهب أسكيلد إلى عمله، اتصلت راندي بدكتور هاينز.. من حضر على الفور.. كشف على بيورك.. وضع سماعته على بطنها التي بدت كبيرة نوعاً ما.

قال الطبيب في هدوء وهو يغمز بعينه لراندي بثقة: لا شيء يدعو للقلق.. اشربي الكثير من الماء.. لا زال أمامنا ثلاثة أسابيع قبل يوم الولادة، أومأت بيورك موافقة.. كانت تثق تماماً في كلام الأطباء.. بالرغم من ذلك، اشتد عليها الألم.. بدأ العرق البارد يتصبب بغزارة من جبهتها.. كان عليها أن تستلق على الكنبة.. بعد فترة قصيرة، دخل عصفور من نافذة المنزل المفتوحة.. بدأ يضرب الهواء بجناحيه وهو يطير محلقاً في الردهة حتى اصطدم بزجاج النافذة وسقط على الكنبة.. كان ذلك لبيورك أمارة.. إشارة لميلاد الطفل.

صاحت بيورك قائلة: سيأتي الطفل الآن إلى الدنيا! سيولد الطفل الآن! كما إن لديّ غازات في معدتي أيضاً! اتصلوا بوالدتي!

ركضت ماما راندي في فزع وخوف شديد إلى الهاتف لتتصل بدكتور هاينز من رفض الركض جيئة وذهاباً لهذا المنزل.. قال لراندي وهو يبدو على صوته الانزعاج والضجر: إن كانت الفتاة تعاني من غازات بمعدتها.. ادخلوها المرحاض فحسب.. لم يحن موعد ولادتها بعد بحق المسيح!

لذلك جلست بيورك في الحمام وهي تتصبب عرقاً بارداً.. تعاني من آلام مبرحة في خاصرتها، حينما عاد أسكيلد من عمله بساحة السفن حاملاً معه في جيبه لوحة مطوية.. صورة الكمان لبيكاسو.. التي طرحها على مائدة الطعام مثلما فعل بصورة فولار من قبل.. قبل أن يتساءل حينما علم أن بيورك دائماً في الحمام: ما هذا الهراء؟ أمسك أسكيلد بسماعة الهاتف ليتصل بالطبيب الذي شعر بالانهاك والتعب من المكالمات التليفونية المتكررة لتلك العائلة.. كان الطبيب يتناول عشائه.. لكن حينما صاح فيه أسكيلد بصوت مرتفع، قرر الطبيب أن يهدئ من روع أسكيلد.. من سيصبح أب عما قريب فقال له: حسناً، سآتي خلال ساعة.

قبل مرور ساعة، زاد على بيورك الألم حتى تسبب لها في صعوبة في التنفس.. كان هناك عصفور يريد أن يخرج للحياة.. يريد أن يرفرف بجناحيه خارج رحم أمه.. بدأ يضغط على الرحم أكثر فأكثر.. يحاول أن يجد له مخرجاً من ذلك الظلام.. أرادت بيورك أن تنهض لتعود إلى الكنبة.. لكن الآلام المبرحة لم ترحمها.. لم تعطها الفرصة لفعل أي شيء.. لم تدعها إلا حينما سقطت بيورك المسكينة مغشية عليها..

وبينما كان أبلهيد يحدق فاغراً فاه في العصفور الذي اعتقد أنه قد مات في الردهة.. والذي بدأ يقاوم الموت.. يتشبث بالحياة.. يضرب بجناحيه الهواء شيئاً فشيئاً على الأرض مما دفع أبلهيد مندهشاً متعجباً ليصيح قائلاً: أنه يحاول أن يطير! رأيته بنفسي! كان هناك طائر آخر يحاول أن يطير خارج رحم أمه.. مولود جاء إلى الدنيا من بين قدمي بيورك.. لم يلبث أن تعرف على العالم الخارجي حتى اصطدم برائحة الفضلات القذرة بعدما سقط في المرحاض فور خروجه إلى الدنيا.

صاحت بيورك وهي تشعر بدوار شديد: أسكيلد! اندفع أسكيلد في لحظة إلى الحمام ليعرف أن وليده قد سقط في المرحاض.. يختنق وسط الفضلات.. سرعان ما أقحم أسكيلد يديه في المرحاض.. أخذ يفتش.. تقابل يداه الكثير من الفضلات القذرة، لكنه لم يعبأ لذلك أبداً.. بل ظل يبحث في عين المرحاض على طفله لاهثاً.. خائفاً أن يفقده.. حتى أمسك أسكيلد أخيراً بشيء طويل.. بدا له أنه الحبل السري.. أخذ يسحبه بقوة.. حتى وصل إلى الطفل الصغير.. ما إن وجده حتى علت ملامحه علامات الفرحة بالصيد الثمين.

صاح أسكيلد فرحاً: انه صبي! فقد كان هو أول من اكتشف نوع المولود.. أردف قائلاً: إنه صبي! بحق المسيح ! أبلينا حسناً يا عزيزتي.. أليس كذلك؟

ثم دخلت ماما راندي بقدر الماء المغلي.. قامت بغسل المولود قبل أن يدخل عليهم دكتور هاينز متمتماً: لابد أنكم تمزحون! في المرحاض! على الرغم من تعليق الطبيب الوقح الذي أثار علامات الدهشة والتعجب على ملامح جميع من بالمنزل، إلا أن الصبي بدا بصحة جيدة.. كان ملفوفاً في بطانية قبل أن يسلم في الردهة إلى والدته ووالده من اعترتهما علامات الدهشة والتعجب حينما رأيا أذني الطفل الكبيرتين اللتين كانتا مختفيتان في الغشاء الجنيني قبل الولادة.

همس أسكيلد: هل ترون كيف يبدو؟ لم يرغب أحد في الإجابة على سؤاله.

استمر أبلهيد يحدق في ابن خاله.. تعلو وجهه علامات الدهشة طوال الأسابيع التالية من ولادته.. كان كل يوم، ينحني عليه أبلهيد.. يحملق فيه في تعجب قائلاً: انظروا لتلك الأذنين ! لمن تلك الأذنين؟

أردفت ماما راندي قائلة: ليست لعائلتنا بأي حال من الأحوال.

صاح أبلهيد جاحظاً عينيه: إنهما يتحركان.. رأيتهما بنفسي!

تنهدت بيورك وقالت: كف عن الحدث عن أذنيه، كانت متأكدة أن هناك الكثير ما يمكن التركيز عليه أكثر من أذنيه...

فاستطردت قائلة: انظر إلى أنفه.. كم هي جميلة! أنظر إلى عينيه.. كم هي رائعة! أنا متأكدة أنه سيصبح شخص مرموق في المجتمع.

بدأت بيورك تغني للمولود ليلاً ونهاراً: الصبي الصغير ينتظره مستقبل مشرق.. ينتظرك.. أنت، أنت

أراد أبلهيد بإلحاح الأطفال أن يفهم ما تعنيه فقال: ماذا تعنين؟ هل سيصبح إطفائي؟ أم رئيس وزراء؟

لكن أمرت بيورك الجميع بالتزام الصمت، فالطفل بحاجة إلى النوم.. وحينما عاد أسكيلد إلى المنزل مساءاً بعد عناء يوم عمل طويل في ساحة السفن.. تفوح منه رائحة الكحول والعطر والتربنتينة.. تعبئ المكان الذي تطأ فيه قدماه، قالت له بيورك: الطفل نائم.. حاول التزام الهدوء يا أسكيلد.. ألا يمكنك أن تأخذ معدات رسمك إلى سلم المنزل؟ لا، لا تبدأ في ذلك.. كف عن دغدغة الطفل.. كف عن مضايقته!

لم يكن من أسكيلد الذي ظن أنه بامكانه أن يدغدغ ابنه كيفما يشاء إلا أن تمتم بكلمات اعتراض قليلة غير واضحة قبل أن يعود أدراجه إلى سلم المنزل حيث تابع عمله على لوحة أسميت فيما بعد (مولود جديد في مرحاض قديم).. وهو يشرب الماء من قارورته الجديدة التي أصبحت وعصاه رفيقيه المقربين في الحياة فيما بعد.. لم يمنع باب المنزل تلك الرائحة النفاذة من التسلل إلى جميع أركان المنزل.. تنهدت بيورك وفتحت النوافذ لتجديد الهواء.. لكن باءت جميع محاولاتها بالفشل الذريع.. حينما جاء أسكيلد فيما بعد إلى المطبخ ليشاهد بيورك وهي تعطي للطفل حماماً دافئاً، قالت له: لما تقف هناك كالأخرق؟ إن أراد الغناء للصبي، تقول له: أنت تخيفه بصوتك! وإن أراد أن يميل إلى فراش ابنه ويطبع على وجهه قبلة أبوية دافئة، تقول له: أنت تجرحه بشعر لحيتك يا أسكيلد.. كف عن هذا!

في حين كانت علاقتهما الحميمة في الظلام الدامس قد وصلت إلى النهاية.. إلى مفترق الطرق.. ثمة من يشغل مكانه على صدرها.. لم يجد أسكيلد له ملاذ سوى عند سلم المنزل حيث استسلم للكحول الذي بدأ يأخذ منحى جديد في حياته.

ثم تدهورت صحته بصورة ملحوظة بعد قليل، أصبحت رئتاه اللتان كانتا ضعيفتين من جراء أعوامه المريرة التي قضاها في ثكنات الجنود الرهيبة بألمانيا، تعاني من الهواء الرطب عند سلم المنزل.. و اهتياج الشعب الهوائية من روائح التربنتينة التي تفوح بكثافة من حوله ومن إفراطه في التدخين.. بعد فترة، اضطر أسكيلد أن ينسحب من مناطق اللحام في ساحة السفن والمناطق المحيطة على متن السفينة حيث الغازات المنبعثة من جهاز اللحام تختلط بالسحب الكثيفة في السماء، تسبب له السعال الشديد وضيق في التنفس.. مما دفعه إلى أن ينكب على عمله في غرفة الرسم.. منحنياً على مائدة الرسم طيلة حياته.. لم يتخيل قط أن يرى لوحاته تتحول إلى تماثيل

حديدية مفعمة بالواقعية.. كنتيجة لذلك، بدأت تصميماته للسفن تسلك طريق التغيير.. فقد بدأ يتخيلها عنصر من عناصر الخيال بفعل المشروبات الكحولية واللوحات التكعيبية عند سلم المنزل.. شعر أسكيلد أنه يسلك طريقاً جديداً.. الذي من شأنه أن يحدث ثورة في العمليات المتبعة في العمل بساحة السفن.. لكن لم يوافق الجميع على ذلك.

أخذ اللحامون في ردهات اللحام يتمتمون قائلين: هؤلاء المهندسون الملعونون يجلسون على موائد رسمهم ولا يعلمون شيئاً عما يحدث في الواقع المعاش!

استطرد الكهربائيون: اللعنة! لا نرى معنى لرسوماتهم.

تعجب كبير العمال في ساحة السفن قائلاً: تباً لذلك! ماذا يحدث هنا بحق الجحيم!

مع مرور الشهور، تزايد شعورهم بالسخط وعدم الرضا عما يحدث في العمل.. حتى جاء يوم ما حينما تقدم ثلاثة رجال يمثلون فريق العمل ليقدمون شكواهم للرئيس.. من استمع إليهم مقتضباً على مدار خمسة عشرة دقيقة كاملة ثم قال لهم: حسناً، ينبغي علينا أن نصلح تلك الأخطاء.. ابتهجوا.. لا تقلقوا! لكن باءت مهمتهم بالفشل، فقبل أن يبرحوا مكتب الرئيس، أغلق الأخير الباب وهمس إليهم قائلاً: إنه النجار عليكم اللعنة.. ماذا تريدون مني فعله؟ لا يمكنني طرد النجار.. أليس كذلك؟ هل تعلمون ماذا سيحدث من جراء ذلك إن حاولت طرده؟ هل تعرفون ما معنى هذا؟

بالرغم من ذلك، إلا إن الرئيس قرر أن يتحدث مع أسكيلد

قال له يوماً ما بعد موعد العمل: أعلم أنك تبلي بلاءاً حسناً في عملك، لكن أحياناً يمكن للشخص أن يتقن عمله للغاية لدرجة ألا يعطي لنفسه مساحة للتفكير السديد فيما يعمل.

بعد مرور نصف ساعة، كان أسكيلد يصب جام غضبه.. يلقى بيأسه وشعوره بالإحباط في كلمات يتمتمها لا يعرف معناها في حانة ما.. أخذ يتحدث مع زميله إينجولف فيسكر قائلاً: هؤلاء الحقراء.. تلك الأفكار التافهة.. هؤلاء المغفلون، أومأ إينجولف وهو يشفق على زميله الذي أصبح في حالة يرثى لها.. كان هو أول من ساعد أسكيلد لينمي معرفته بموسيقى الجاز والرسم التكعيبي.

في طريق عودته إلى منزله، بدأت الثلوج تنهمر بغزارة.. كان ذلك فصل الخريف بتقلباته المزعجة يلقى بظلاله على بيرجين في عام 1946 حينما تذكر أسكيلد ذلك الشعور الذي نما بداخله.. تغلي به ثورة الشباب.. حينما تم طرده من مكتب مالك السفن ثورستن.. أخذ يجول المسكين في الشوارع بشهادته العلمية وخاتم الخطبة في جيبه.. يخالجه شعور قوي برغبة جامحة في الهجرة إلى بقاع أخرى حيث يبدأ من جديد.. حينما كان في السويد، ذهب أسكيلد إلى جوتنبرج ليبدأ من جديد.. لكن كلما أبحرت السفينة من الميناء أمام عينيه، شعر بالدماء تغلي في عروقه

وثورة الشباب تتملكه.. لكن سرعان ما تلاشى ذلك الشعور.. محته الأيام و الليالي.. حتى أصبح في طيّ النسيان.

بعد مرور شهر، حينما قرأ أسكيلد إعلان وظيفة في بيرجين تيديند يختص بساحة سفن في أوسلو، لم يتردد للحظة في التقدم لتلك الوظيفة.. سرعان ما اتصل بالمسئول في ساحة السفن بأوسلو.. لم يدم الأمر طويلاً قبل أن يقرع أسكيلد باب مكتب رئيسه وقت الغداء قائلاً له دون تردد: وجدت وظيفة أخرى في أوسلو.. ربما سيقدرون مواهبي هناك، ما إن أتم أسكيلد عبارته حتى استاء الرئيس لرغبة أسكيلد في ترك عمله.. لكنه أكد عليه في نفس الوقت أن ساحة السفن يمكنها قبول تركه العمل حينما يشاء.. فأردف أسكيلد قائلاً: أتمنى أن أترك العمل بها اليوم.

بعد انقضاء وقت العمل اليوم، حينما جلس في نفس مكانه المعتاد بأقرب حانة، حاول إقناع صديقه إينجولف فيسكر بالذهاب معه إلى أوسلو.. قال له أسكيلد: هناك الرواتب أفضل بكثير.. كما إنهم سيعطونك التسوية التي تريدها.. سنعيش هناك ملوكاً ونبلاء!

لكن ذهبت مساعي أسكيلد لإقناع صديقه هباء، فلم يقتنع إينجولف فيسكر أبداً بما أخبره به أسكيلد.. لذلك انتهى أسكيلد من احتساء الخمر ثم عاد إلى منزله وأخبر عائلته بخططه المستقبلية الجديدة.

تعجبت بيورك قائلة: إلى أوسلو! ماذا حدث؟ هل طردوك؟ كانت لكلمات أسكيلد وقع الصدمة على بيورك.. تلك الكلمات التي كانت تطرب آذانها يوماً ما قبل الحرب.. أما بعدها، كانت تسعد بها أكثر حينما كانت أساس حياتها العاطفية.. دافعاً لها لتشبع رغبتها وتوقها لترك فيلا النبيل البيضاء في كالفارفين.. أما الآن، فهي تشعر بسعادة كبيرة وراحة أكبر في تلك الشقة في سكانسن.. حيث تسنح لها فرصة انشغال زوجها في العمل أحياناً وفي لوحاته الزيتية أحياناً أخرى، لتعطي ابنها الصغير كل الحب والاهتمام في حين تقوم ماما راندي بخدمتها.

صاحت بيورك: أنت تمزح.. أليس كذلك؟ لكن ماما راندي قاطعتها قائلة: دائما ما يناقش الرجل مثل تلك الأمور مع زوجته أولاً.. أبهذا الشكل تشكرنا على كل ما فعلناه من أجلك؟ أبهذا الشكل تشكرنا على نومنا أنا ووالدك في غرفة الضيوف؟ أبهذا الشكل يشكر الابن أمه على ما فعلته ودائماً تفعله من أجله؟

صاح أسكيلد قائلاً: سئمت سماع ذلك الكلام النمطي السخيف! هيا.. استمرا.. تكالبا عليّ ! أيتها الأبقار العجوزة! بينما كانوا يتشاجرون في المطبخ، تجمد جسد أبلهيد الصغير من الخوف في الردهة، وهو يتخيل جده نيلز يمارس عادته المفضلة.. ضربه مجدداً بعدما يترك خاله المكان.. الذي لم يلبث أن عاد إليه بعد غياب.

كان بابا نيلز هو الوحيد الذي لم يشأ الشجار أو الاعتراض على قرار أسكيلد ذلك المساء.. لكنه انسل خلسة نحو باب المنزل ليشاهد ابنه وهو يعمل على لوحته الزيتية.. حدّق في وجه الرجل الذي رسمه أسكيلد بالطريقة التكعيبية لفترة طويلة.. فقد بدا له ذلك الرجل حقيقياً تماماً.. وكأنه وقع لتوه على قماشة الرسم.. ثم ربت على كتف أسكيلد.

نظر أسكيلد إلى والده في حيرة وقلق مما يريده ذلك الرجل العجوز.. وفجأة أشرق وجهه ولمعت في عقله فكرة ما، عمل على تنفيذها على الفور، أخرج أسكيلد نسخة أصلية مطوية من جيبه.. كانت هذه المرة لوحة «باذرز مع القارب اللعبة»، ثم سأل نيلز إن كان يرى كيف تبدو.. حدّق نيلز لفترة طويلة في الصورة التي تذكر أسكيلد بـ كاتارينا في الصباح المليء بالضباب.. أجابه نيلز: تبدو كقارب لعبة.. ثم عاد إلى كرسيه الهزاز.

في الأيام التالية، بدأت تتزاحم أمام الأعين صناديق عدة في الشقة.. بدأ أسكيلد وبيورك يحزمان حقائبهما.. يضعان القدر وأدوات المطبخ في صناديق.

قبل رحيلهما بيوم واحد، ذهبت بيورك لتودع عائلتها في سكيفيباكن.. حينئذ لم يكن بابا ثورستن بخير حال، فقد تملك منه الجنون تماماً حتى أنه بات عاجزاً عن التواصل مع من حوله.. فجلست بيورك على حافة الفراش.. حضنت يداها يديه في دفء وحنان.. وسبحت بعقلها بعيداً.. تتذكر أيام طفولتها البريئة الجميلة.. التي مرت عليها لحظة من عمر الزمن.. في فيلا النبيل البيضاء في كالفارفين.. والخدم والحشم يملئون المكان جيئة وذهاباً.. تذكرت حلمها تحت أشجار القضبان وعطر الطبيب الناعم الذي ينبعث منه شعوره الداخلي بالكآبة و الوحدة.. قدمت لهما ماما إيلين الشاي متمتمة: بحق المسيح! أوسلو!

بعدما احتسى أسكيلد وبيورك الشاي، رحلا على الفور.. عيني أسكيلد تنظر في الفراغ متفائلة بمستقبل باهر ينتظره.. بينما عيني بيورك تنظر إلى عائلتها.. تلوح لهما بيديها من على رصيف القطار.. كان آخر ما رأته قبل أن تحجب المباني والأشجار رؤيتها.. وجه أبلهيد الصغير.. من وقف محدقاً في الفراغ في حزن شديد.. ثم التفتت بيورك.. نظرت إلى زوجها أسكيلد من كان يضرب أرض عربة القطار بعنف بعصاه.. ما إن لمحها تنظر إليه حتى ربت برقة على خدها قليلاً: كان ينبغي علينا القيام بذلك منذ فترة طويلة.. بحق المسيح.. كان علينا فعل ذلك منذ زمن بعيد!

الجزء الثالث

الجهاز الغريب السخيف

قالت أختي ستينا: لم يكونا في مثل هذا العمر المتقدم، لكنها لم تكن تمعن النظر في الصور التي أحضرتها من منزل جدي وجدتي في تانوفي لأثبت لها صحة كلامي.

خرجت من هناك بعد الظهيرة بعدما زرت جدتي بيورك.. لا زال المنزل كامل التأثيث فيما عدا بعض الحاجيات الصغيرة التي تولى جسبر وستينا أمرها وأحضراها لبيورك في منزل الطفولة.. فتحت الخزانة الكبيرة على الفور في غرفة النوم.. بدأت أبحث وأفتش فيها بدقة.. بينما تسمع دقات قلبي عالية حتى اتضحت أخيراً صحة حدسي: وجدت الخطابات القديمة التي كان يكتبها جدي أسكيلد في راملوسا.. على الظرف كُتبت كلمات بخط عريض: أرجو أن يحرق هذا الخطاب بعد موتي.. لكن لم تحرق جدتي تلك الخطابات أبداً.. كما إنها لم تتوقع أنني سأبحث وأفتش في متعلقاتهما بتلك الطريقة غير المنظمة.. وجدت أيضاً ذلك الجهاز الغريب السخيف والعديد من معدات الرسم الزيتي التي أخذتها معي إلى منزل ستينا.. كما وجدت صوراً قديمة لأبي في فترة الطفولة.. لم تكن أذناه قد تغيرت بعد.. كانتا ضخمتان كبيرتان للغاية.. حاولت إقناع ستينا أنهما أكبر بكثير من بقية وجهه لكنها فضلت الإنصات لرأيي في صورة بيورك.

قالت لي: إذاً ما رأيك؟

سألتها: ألم تكن في المستشفى؟

تملكت مني علامات الدهشة والتعجب عند رؤيتها.. كانت ترقد في الفراش على ظهرها حينما وصلت.. تخرج من فمها أنبوبة بخطاف صغير أخضر أسفل أنفها تُمدّها بما تحتاجه من أكسجين للحياة.. كانت عيناها مغمضتان.. جلدها رمادي اللون.. يعبئ الغرفة هواء فاسد.. تنتشر رائحة بول خفيفة.. اعتقدت أنها نائمة.. تسللت على أطراف أصابعي بهدوء شديد حتى وصلت إلى فراشها وأمسكت يدها بلطف.

همست دون أن تفتح عينيها: أخيراً قررت العودة إلى بلدك.. اعتقدت أن ذلك لن يحدث أبداً.

مرت أعوام كثيرة على رؤيتي لها آخر مرة.. كان لابد لي أن أَعد نفسي جيداً قبل رؤيتها هذه المرة.. رأيت ماما راندي وقد تجاوز عمرها المئة عام.. لكن تأثير التقدم في العمر على بيورك كان لي صدمة العمر: تجاعيد كثيرة تملأ وجهها.. عظامها تبرز من جسدها النحيل.. شفاهها ترتجف كثيراً.

سألتها بغتة مشيراً إلى قصصها: لما بدأت مجدداً؟ كنت أنوى أن أطرح عليها ذلك السؤال خلال الأسابيع القليلة القادمة.. لكن كانت تلك الكلمات هي أول ما تفوهت بها حينما رأيتها.. وكانت لي مبعثاً لراحة النفس و هدئة القلب.

استطردت جدتي قائلة: افتح الخزانة.

تلفت حولي.. كانت هناك العديد من الخزانات التي يمكن فتحها.. ذهبت إلى أكبرها.. فتحتها على الفور.. فسقطت جميع متعلقاتها أرضاً.. كانت عبارة عن ثلاثين أو أربعين علبة فارغة كعلب السردين.. ما إن رمقتها حتى لاحت بمخيلتي صور البلدة حيث كانت تسكن جدتي بيورك.. تحمل نفس التعليق: هواء نقي من بيرجين.. ملصق عليها من الخلف الطوابع النرويجية.. تعرفت على الفور على خط أبلهيد المميز.

أخبرتني ستينا الآن أن أبلهيد يرسل علبة جديدة كل أسبوع.. ربما أعتقد أنها ستثير الضحك لدى بيورك.. لكنها أخذت تلك العلب بعين الجدية والاعتبار.

همست قائلة: اعطني واحدة.

أدركت على الفور أنها تريد أن تشتم عبق الهواء المنعش.. كانت ثمة ثلاثة ثقوب على جانب العلبة.. حيث كان من الواضح أنها تريد أن تلصق أنفها لتستحضر ذكريات بيرجين من خلال هوائها المنعش بداخل العلبة.. خلعت عنها أنبوبة الأكسجين.. سندت رأسها بيد ورفعت العلبة إليها باليد الأخرى حتى يتسنى لها أن تأخذ نفساً عميقاً .. بعدما استنشقت الهواء المنعش، عادت جدتي لترقد في فراشها وقد ارتسمت على وجهها نظرة حالمة ثم لم يمض وقت طويل قبل أن يظهر أثر العلبة السحري عليها.. فوجدتها تجلس فجأة على الفراش.

ثم همست وهي تضع يدها على قلبها قائلة: إنها كسرة الثلج.. تلك الكسرة التي أزعجتني طوال حياتي.. لكن بدأت الأمور تسوء فيما بعد.

كانت جدتي تتحدث الترهات.. تكرر حديثها مراراً وتكراراً.. لم تعد تتذكر أسماء الأشخاص.. ظلّت محدقة في اللوحة الطبيعية الكبيرة المعلقة على الحائط كالمنومة مغناطيسياً.. أحياناً كثيرة كانت تبدو واضحة الكلام حتى أنني تمكنت من استخلاص العديد من التفاصيل الهامة واتضحت لي الكثير من النقاط الحيوية للمناقشة.. خاصة فيما يتعلق بأذني والدي.. حتى جدتي بيورك أصرت على أنهما كبيرتان.

لكن لم تأخذ ستينا ما ذكرته جدتي بعين الاعتبار.. كانت بيورك بالنسبة لها سيدة عجوز تتحدث الترهات.. لم تقم ستينا لكلماتها وزناً.. كانت تريد المزيد من الأدلة الدامغة الملموسة حتى وإن رفضت الاقتناع بالصور التي أحضرتها لها دليلاً على ذلك.

قالت بيورك هامسة: أحياناً كثيرة تداعبني الملائكة.

تعلم ستينا جيداً أن أيام طفولة والدي كانت مميزة بأذنيه الكبيرتين تلك.. لكن كل ما يسيطر على تفكيرها الآن هو أن تثبت أنها على حق.

قلت لها: حتى ذكرياته الأولى كانت متعلقة بتلك الأذنين.

ابتسمت ستينا وقد اعتقدت أنني وضعت نفسي في حرج أمامها.

قالت: ذكرياته الأولى؟ لم أكن أعلم ذلك أبداً!

أول ما حفر بعقل نيلز الصغير ذو الأذنين الكبيرتين كأذني القدر «جاج إيرز» هي بوابة أمامية مفتوحة يضيئها ضوء ساحر جميل.. تحديداً كانت بوابة حديقة أمام أحد منازل ساحة السفن في أوسلو.. بينما كانت بيورك تنشر الغسيل في الخلف.. ذهب جاج إيرز إلى الفناء الأمامي للمنزل ليلعب بقطاره اللعبة حينما لمح فجأة البوابة مفتوحة أمامه.. تلك البوابة التي كانت دائماً مغلقة أمام آماله وأحلامه.. لكن في ذلك اليوم، نسي أسكيلد أن يغلقها.. فأخذ جاج إيرز يحملق في الطريق في دهشة وتعجب.. ذلك الطريق ما كان منطقة محرمة له من قبل.. ليس فقط لأنه غير مسموح له باللعب في الفناء بل أيضاً لأن إمكانية المغامرة خارج البوابة لم تكن أبداً في الحسبان.. وقف جاج إيرز محدّقاً في العالم الممتد أمام عينيه يناديه للمغامرة واكتشاف

الأسرار.. شيء ما بدأ يخالجه.. يُسمع صدى صوته بداخله.. يغنى له.. يحثه على نسيان اللعب بقطاره.. يشجعه على المضي قدماً في اكتشاف ذلك العالم الغريب المليء بالأسرار.. يحثه على إشباع رغبته الملحة في الصياح فرحاً بهذا العالم ما كان محرماً له من قبل وأصبح متاحاً له الآن.. يناديه لإشباع رغبته الجياشة في الاستكشاف.. تلك الرغبة التي لم يتضاءل حجمها حينما لمح مخلوقة ساحرة أمامه.. كانت فتاة في السادسة من عمرها تقف مع صبيين صغيرين.. كانوا جميعاً يستمتعون بتعذيب فأر صغير وقع في أيديهم صيداً سهلاً.

أراد جاج إيرز أن يشاركهم اللعب.. حينما خطا خطوات قليلة في الشارع، لمحه أصغر الصبية.. فلكز تلك الفتاة الساحرة في جنبها.. فالتفتت نحو جاج إيرز ليجد الصغير أنها تتمتع بشفتين صغيرتين جذابتين كبرعم زهرة بضْ مندى تدفع الرائي للانجذاب إليها والاقتراب منها أكثر من المسموح.. ثم صاحت قائلة : أنت! يا ذو الأذنين الكبيرتين!

توقف جاج إيرز

فأردفت قائلة: أجل أنت.. يا ذو أذني القدر.. أتحدث إليك أنت.. أنا متأكدة أنك تسمع دبيب النملة بمنظرك هذا.

سمع جاج إيرز السخرية من شكله.. لكنه لم يسعه سوى أن يلزم الصمت.. الذي لم يقطعه صوتا الصبيين وهما يسخران منه ويضحكان عليه بصوت مرتفع قائلين: ما رأيك؟ أليس بديناً خلف أذنيه؟ ثم التفتا لنيلز الصغير قائلين: أيها الطيار المحارب ! احترس، إنك لم تقلع بالطائرة بعد.. فلما تلبس سماعات الأذن؟ أيها المخلوق القبيح ذو الأذنين الصغيرتين.. لما لا تعد لأمك؟

وبذلك نجح الأطفال الثلاثة في اقتحام حياة جاج إيرز بسرعة كبيرة مثلما خرجوا منها أيضاً.. فعاد نيلز الصغير مسرعاً إلى عالمه الآمن في الجهة الأخرى لبوابة الحديقة.

بعد مضي أسبوعان، عاد أسكيلد إلى منزله من ساحة السفن شديد الثمالة أكثر من المعتاد.. في تلك المواقف، اعتاد جاج إيرز أن يجثم في خزانة أسفل حوض المطبخ حيث يلطف الماء المندفع في الأنابيب من حرارة جسده

الصغير.. حيث يترك الصغير لخياله وأحلامه العنان ليجسدها واقعاً معاشاً على شكل خطوط داخل الخزانة يخطها بقلمه الصغير بينما تتصاعد الأحاسيس والمشاعر لتصل إلى أوجها في الردهة.. في ذلك المساء بالتحديد كانت ثمة مشكلة ما تؤرق أسكيلد.. والتي صرح بها بعد ضغط شديد من قبل بيورك في الردهة.. اعترف أسكيلد أنه تم طرده من ساحة السفن جراء ما قدمه من تصميمات سفن تفتقر الحرفية والمهارة.. كذلك بسبب شكاوى عديدة مقدمة ضده من اللحّامين و الكهربائيين وكبار العمال.

تمتم أسكيلد وهو يضرب الأرض بعصاه قائلاً: إنهم ريفيون! حقيرون.. جهلة!

تنهدت بيورك وهي تقدم لزوجها الشاي قائلة: لكن بحق المسيح! ماذا سنفعل الآن؟

صاح أسكيلد مهدداً أن ما حدث لن يمر بسلام وأنه سيدمر ساحة السفن على رؤوس أصحابها.. أخذ يسب ويلعن بغضب جم.. أخذ يصرخ قائلاً: ما فائدة شارة ميلورج وجميع من بأوسلو لم يسمعوا عن النجار، أشهر محارب من أجل الحرية في غرب النرويج؟

فعادت الصناديق تتراكم مجدداً في الردهة.. حقائب الترحال مبعثرة هنا وهناك .. بدأ جاج إيرز الصغير يزحف في المكان ويختبئ في الصناديق .. بعدما تم تعميده من قبل مجموعة الأطفال في الشارع.. بعد لحظات، بدأ يرسم عصي صغيرة داخل الكراتين كعادته واختفى وسط عوالم غامضة من الكتب والقدر وأواني الطبخ والملابس القديمة.. في يوم ما، أخرج جاج إيرز رأسه من أحد الصناديق الذي يلهو بداخلها وسأل والده: أين نذهب بالتحديد؟

فأجابه أسكيلد من كان جالساً أمامه بقدح من القهوة في يده.. محدقاً في الفراغ: إلى البرية هناك يا بني.. ذلك ما كان ينبغي علينا فعله منذ زمن مضى.

مجدداً كان هناك أمام المنازل بالقرب من ساحة السفن في كريستيانساند حيث انتقلت عائلة أسكيلد فيما بعد.. بوابات حدائق أخرى.. أطفال يلعبون ويمرحون في الشارع.. ونيلز الصغير أيضاً من أراد الخروج لذلك العالم الغريب لاستكشافه مثلما فعل قبل سابق.

صاح أحد الصبية قائلاً: أنت هناك! يا له من منظر! أب بعصا وابن بزوج من الأذنين مثل.. ماذا تعتقد أنهما يشبهان؟
أجاب صبي آخر: مثل أذني الإخطبوط؟
اقترح طفل آخر: مثل الفطائر المحلاة؟
فأردف الأول: لا بحق الجحيم، يبدو كالفيل! إن أذنيه كبيرتين كأذني الفيل تماماً! ألا ترون ذلك؟ إنه الفيل دامبو!
شعر جاج إيرز بنفس الشعور السابق.. شعور رهيب يدفعه لالتزام الصمت.. ما تذكره حينما تذكر الموقف السابق مع الصبية السابقين.. لكن هذه المرة لم يهرب كعادته للعالم الآمن في الجانب الآخر من البوابة.. بل مكث في مكانه يشاهد الأطفال يلهون ويمرحون.. وقد نسوا أمره تماماً وانشغلوا عنه بإنزال خيطاً بخطاف يبدو هذا الشيء كصنارة في البالوعة.. بعد قليل، حينما اصطادوا كيساً قديماً من البالوعة.. جلسوا يلتقطون أنفاسهم على الأرض.. فلمحوا نيلز الصغير يقف أمام بوابة الحديقة.
صاح الصبية: فيما تحدق هناك يا دامبو؟
فتح جاج إيرز فمه.. أراد لأول مرة أن يدافع عن نفسه أمام سخرية واستهزاء الصبية منه.. فصاح فيمن يسكنون العالم الغريب في الجانب الآخر من البوابات: أنت دامبو ولست أنا.. أنتم الأخرقون ولست أنا!
ما إن سمع الأطفال تلك العبارة حتى ضحك أكبرهم.. كان اسمه بير.. وقال له: هل عمرك سمعت عن برغوث ينبح؟ ألم تسمع به من قبل؟ تعال هنا وأرنا أذنيك.
أراد جاج إيرز أن يعرف ما يفعله الأطفال فسأل أحدهم وهو يقترب منهم: ماذا تفعلون؟
فأجابه أحد الأطفال أنهم يصيدون سمك الثعبان من المجرور ثم أردف الطفل وتعلو وجهه نظرة ماكرة خبيثة قائلاً: تدخل تلك الأسماك ميناء السفن وأحياناً تخرج من الحمامات في ساحة السفن.. وحينما سألهم جاج إيرز فيما يستخدمون سمك الثعبان، نظر إليه الجميع في دهشة وتعجب.. قال بير بتنهيدة عميقة: إنه ليس قبيح الشكل فحسب بل غبي وأخرق أيضاً.. فلم يكن

من نيلز الصغير إلا أن التزم الصمت كعادته حينما يسخر منه الأطفال.. حتى رأف أصغر الأطفال لحاله وأجابه: نأكلها.. نأكل سمك الثعبان.

تعجب جاج إيرز قائلاً: ألا تظنون أنها مقززة؟

أجابه بير: لا، أبداً يا دامبو! لما لا تدعنا نلقي نظرة عن كثب على أذنيك؟ ما إن أتم عبارته حتى جذب نيلز الصغير بقسوة من أحد أذنيه الكبيرتين.

صاح جاج إيرز متألماً: آه! لا! لا!

فأردف بير: من منكم يريد أن يمسك بالأذن الأخرى؟

فأصبح جاج إيرز يقف بين صبيين كبيرين في حالة يرثى لها.. متألماً ألماً شديداً وهما يجذبانه من أذنيه.. وفي لحظات، اسودت الدنيا أمام عينيه.. تباعدت الأرض من تحت قدميه وكأنها اختفت من الوجود.. ظل يتأرجح في الهواء بينما يصيح أحد الصبية: هيا لنر ما إن كان يمكنه الطيران حقاً أم لا! طر يا دامبو.. طر!

لم يرحمه تلك الصبية الأشرار إلا حينما أغمض عينيه وبدأ يصدر صوت قعقعة.. ذلك الصوت كان له المنقذ من قبضتهم.. فما إن سمعوه حتى تركوه يسقط على الأرض دون أن تأخذهم به شفقة أو رحمة.

صاح أحد الصبية: انظروا إلى هذا! إن أذنيه تتحركان! يمكنه تحريكهما.. بحق المسيح! جثي الجميع ليمعنوا النظر في أذنيه ما كانت هدأت حركتها لحسن حظه.. لكن الأطفال ظلوا يحاولون تحريكهما كل على حدة.. يتهامسون.. يتمتمون حتى زال عنهم الشعور بالدهشة والتعجب.. فربت بير على كتف جاج إيرز قائلاً: نحن آسفون على كل ما حدث.. ما رأيك في أن نساعدك بأن نجعل أذنيك تبدوان أقرب إلى الطبيعية؟

فسأله جاج إيرز باكياً: هل يمكنكم بالفعل القيام بذلك؟ أجابه بير: بالطبع، أذهب واحضر الكيس! سرعان ما أتى أحد الصبية بالكيس الموحل الذي أخرجوه من المجرور لجاج إيرز الصغير من كان يجلس على الرصيف يتملكه الصمت الرهيب.. بدأ بير الحديث بهدوء قائلاً: إن دم ثعبان الماء يمكن أن يسبب فقدان البصر إن وضعته في عينيك، لكن إن وضعت وحله في أذنيك، ستبدأ الأذنين في الانكماش، ما إن أتم بير عبارته حتى غمس

إصبعه في الكيس فأخرجها بكمية كبيرة من الوحل بني اللون قائلاً: من يريد أن يعالج أذنه الأخرى؟

صاح أحد الصبية: أنا أريد ذلك! فصاح آخر، لا، دعني أنا أولاً! فنشب جدال صغير بينهم حتى فاز منهم بتلك التجربة.. صبي صغير يسيل مخاطه من أنفه.. من دس إصبعه في الكيس وأخرج بعضاً من الوحل القذر متبعاً بير كمثال يحتذي به.. من قال له: ضعه في أذنه، فشعر جاج إيرز بشيء بارد صمغي يزحف كالحية في قناته السمعية.

سألهم جاج إيرز: هل سيجدي ما تفعلونه نفعاً؟ أومأ الجميع بالإيجاب في فضول بينما أغمض جاج إيرز عينيه وسرت في جسده رعشة شديدة.

بعدما اكتملت جلسة العلاج الأولى، صاح صوت آخر: أريد أن أجرب أنا أيضاً، فصاح آخر: وأنا أيضا! فتخرج كمية أكبر فأكبر من الوحل من الكيس.. تندس أصابع عدة لتقحمها في الأذنين الكبيرتين الحمراوتين حتى قال بير: عد الآن إلى منزلك، إن لم تنكمش غداً سنعطيك جرعة أخرى من الدواء.

منذ ذلك اليوم، أخذت بيورك تنظف أذني ابنها بأعواد القطن.. بالماء والصابون مراراً وتكراراً لكن دون جدوى.. كلما أقنعت بيورك نفسها أنهما أصبحتا نظيفتين، عاد الوحل يندفع منهما مجدداً.

تنهد أسكيلد حينما عاد يوماً ما من عمله في ساحة السفن ووجد زوجته في محاولة منها تنظيف أذني ابنه على مائدة المطبخ فقال: هل لديه عدوى أو التهاب ما في أذنيه؟ ثم سألا نيلز الصغير إن كان يشعر بألم في أذنيه.. قبل أن يغمسا فازلين على الترمومتر وقاما بقياس درجة حرارته.. لكنها كانت طبيعية جداً.. ومع مرور الوقت، لم يكن الوحل فحسب هو ما يخرج من أذنيه خلال خطوات تنظيفهما التي أصبحت من الطقوس اليومية لبيورك.. بل وجدت بيورك أيضاً بعض الحلزونات الصغيرة.. أجمات خضراء.. أوراق شجر صفراء اللون.. كما وجدت بعض صغار الضفادع تقفز من أذنيه حتى طفح كيلها فقالت لابنها يوماً ما: لا تفحم شيئاً في أذنيك.. ربما ينتهي بك الأمر بأن تصاب بالصمم

أومأ جاج إيرز موافقة على كلامها ثم سألها إن كان صحيحاً ما يتردد أن أذنيه كبيرتين للغاية.

أرادت بيورك أن تعرف من يضايقه بهذا الكلام، فسألته: من قال لك ذلك؟ لكن جاج إيرز من لم يرد البوح بأي كلمة عن جلسات علاجه السرية التي يأخذها يومياً في الشارع، أجابها نافياً: لا أحد!

ذات اليوم، دفعت بيورك بزوجها أسكيلد إلى الردهة حيث ظلا يتهامسان ويتمتمان لمدة ربع ساعة كاملة.. بعد ذلك، اندفع أسكيلد إلى المطبخ.. أمسك بجاج إيرز ثم رفعه في الهواء.. أخذ يلفه بقوة حتى دارت رأس الصغير بشدة.. ثم أجلسه والده على مائدة المطبخ وصاح فيه قائلاً: كن فخوراً بأذنيك يا بني.. إنها تجعلك تسمع ما لا يسمعه الآخرون.. تجعلك تسمع كل ما لا يسمعه مواطنو كريستيانساند.. هؤلاء الحمقى!

سأل جاج إيرز والده بعدما زال عنه خوفه: ما الذي يمكنني سماعه يا أسكيلد؟

أجابه والده: لا تناديني بأسكيلد يا بني.. نادني بـ أبي.. أتفهمني؟

فأردف جاج إيرز: نعم يا أبي.. ما الذي يمكنني سماعه؟

حينما لم يكن لدى أسكيلد إجابة على سؤال ابنه السابق، حاول جاج إيرز اكتشاف ما يمكن سماعه بأذنيه الكبيرتين ولا يسمعه الآخرون.. يمكنه سماع صوت أنفاس أمه المتلاحقة.. أناتها.. تنهيداتها في الردهة.. صوت الصفير الصادر من رئتي أبيه.. صوت انسياب وطنين كميات الأدوية التي أقحمها الأطفال الأشرار في قناته السمعية.. مع الوقت، بدأ جاج إيرز يسمع أموراً لا يصدقها عقل.. في يوم ما، حدّق نيلز الصغير في وجه أبيه وسأله: ما الذي تريدني أن أسمعه يا أبي؟ أَخْبَرَنِي

أجابه أسكيلد قائلاً: إن أذنيك حقاً أذنا رجل ناضج! ستسقط النساء فاقدات الوعي من سحر أذنيك.

بعد ذلك، ذهب أسكيلد خارج المنزل لممارسة هوايته المفضلة.. الرسم الزيتي.. بينما وقف جاج إيرز على مائدة المطبخ حتى جاءت بيورك وأنزلته على الأرض.

ما إن نزل جاج إيرز على الأرض حتى زحف إلى داخل الخزانة أسفل الحوض وأغلق الباب خلفه.. أحضر قلماً وبدأ يكمل رسمه للعصي التي اعتاد رسمها من قبل.. كما اعتاد أن يخرج من تلك العصي رؤوساً كبيرة وأقداماً صغيرة.. لكنه الآن وجد نفسه بطريقة لا إرادية يرسم مثلثاً كناب حاد بدلاً من الوجه.. كذلك فعل في جميع العصي التي رسمها.. أخرج منها رأس على شكل ناب حاد.. فسرعان ما تحولت تلك العصي المرسومة في الخزانة إلى وحوش صغيرة.. هناك ما يدفعه للتعبير عن الوحوش بداخله.. يجسدها أمامه لتشاركه الواقع المعاش.

لم يلبث أن خطّ جاج إيرز أول وحش في الخزانة حتى امتلأ المنزل جميعه بوحوشه الخيالية.. في صباح يوم ما، حينما سقطت من أسكيلد شفرة حلاقته على أرض الحمام.. وما إن انحنى لأسفل ليلتقطها حتى وجد ما لم يكن في الحسبان.. وجد ثلاثة وحوش صغيرة على الحائط أسفل الحوض.. حتى حينما كانت بيورك تنظف المنزل، وجدت وحوشاً أسفل الأسرّة وبين الأرفف السفلية في حجرة المؤن وأدوات المائدة.. وذات يوم، حينما كانت تقوم بيورك بتنظيف شامل للخزانة أسفل حوض المطبخ، فوجئت بصف الوحوش التي احتشدت هناك.. كاد أن ينخلع قلبها من هول المفاجأة.. شعرت بالبرودة تسري في جسدها حتى كادت تتجمد من الفزع.. حاولت بيورك تنظيف تلك الرسوم جيداً.. لكن دون جدوى.. كلما أزالت بيورك وحوشاً، رسم جاج إيرز غيرها في الحال.. ولم تلبث أن تبرز ملامح الوحوش القديمة مجدداً بين ثنايا بقع الزيت في المطبخ بعدما تمت دهان حوائطه بالكامل.. حتى بات محو تلك الوحوش أمراً مستحيلاً.

تعجب أسكيلد في مساء يوم ما، وتساءل في نفسه: وحوشا ً.. آذان متسخة**!** أي نوع من الصبية يكون ابني.. ذلك الصبي الغريب**!**

بعد أيام قلائل، جاء أسكيلد إلى المنزل ومعه ببغاء طويل الذيل.. يدعى كاي، احضره من بحار في الحانة المحلية.. يمكن للطائر أن يقول: أعطني مكعب سكر.. احضر الأكوافيت، كانت تلك العبارة هي آخر عبارة قالها الطائر وأضحكت أسكيلد كثيراً.. وضع كاي على مجثم الطائر في الردهة بسلسلة معدنية حول قدمه كي لا يطير ويهرب عن المنزل.

سأل جاج إيرز أباه: هل هو حقاً من أمريكا؟

أومأ أسكيلد إيجاباً قبل أن يحمل ابنه ليلقي نظرة عن كثب على هذا الطائر ذي المنقار المعقوف.. والريش الزاهي الألوان.. والعينين الصغيرتين اللتين تبدوان كبليتين زجاجتين تتحركان باستمرار في حركة دائرية.. حدّق جاج إيرز في إعجاب وانبهار في هذا المخلوق.. تملأه البهجة والسرور حينما يسمع صوته الغريب ورائحته الطيبة حتى صاح أسكيلد مداعباً ابنه قائلاً: احترس وإلا سيقضم أنفك!

بعدما زال الخوف وعدم الألفة في بادئ الأمر، أصبح كاي هو موضوع الحديث المفضل لدى الأب والابن.

سأل جاج إيرز أباه: هل يجب أن نضع للطائر بعض الماء يا أبي؟

سأل أسكيلد ابنه: هل تحدثت مع كاي اليوم يا بني؟

أصبح لكاي عدة ألقاب كأي طفل محبوب في العائلة.. بيب بوي.. بابل هيد.. يانكي.. وبعدما لقّن أسكيلد ذلك الطائر عدة دروس، بدأ كاي يقلد صوته.. لُقب الطائر بالمخلوق الشيطاني (ديمون كرياتشار) وبـ ذلك الطائر الشيطاني (دامن بيرد).. وكثيراً ما كان يشاهد أسكيلد يتجول في البلدة وكاي على كتفه.

بدأ كاي يعطي لجاج إيرز مكانة مميزة وسط الصبية بالجوار.. حينما كان يمر أسكيلد عليهم ومعه ذلك الببغاء العجيب القادم من أمريكا، كان جاج إيرز يسمع الصبية يتساءلون: هل هذا ببغاء حقيقي؟ هل يمكنه الكلام؟ حينما يخرج الصبي إلى الشارع لتلقي علاج أذنيه اليومي، كان يحضر بنفسه الصبية إلى المنزل ليلقوا نظرة عن كثب على ذلك الطائر العجيب.

سأل بير: هل يمكننا لمسه؟

أجابه جاج إيرز: بالطبع يمكنك ذلك لكن المس منقاره فحسب.. بسعادة غامرة ودهشة عارمة، اقترب بير من الببغاء.. لكن ما إن بدأت سبابته تتحرك سنتيمترات قليلة بعيداً عن المنقار حتى صاح جاج إيرز: احترس! سيقضم أنفك! فما إن سمع بير صياح جاج إيرز حتى سحب إصبعه بعيداً عن الطائر على الفور وقد تملكه الخوف والذعر.

صاح صبي صغير: تملكك الذعر حتى أنك لم تتمكن من لمسه!

لكن سرعان ما أحدث الببغاء كاي خلل في توازن الصبية حينما ضرب الجمع بجناحيه فبدأ بير في الدفاع عن نفسه وسط مناقشة حادة مع الجميع.. حينما اقترب جاج إيرز من الطائر.. حمله.. ضغط أنفه الصغير على منقار الببغاء الكبير.. فلم يكن هناك ما يمكن مناقشته بعد ذلك.. بات الببغاء يشكل خطراً كبيراً للصبية لكن ثقلاً كبيراً لشخصية جاج إيرز أمام قرنائه.

لكن استمرت جلسات علاج أذنيه على كل حال.. وتزايدت مشاعر الخوف والفزع لدى بيورك كلما كانت تخرج من أذني ابنها الكبيرتين المزيد من الوحل.. الحلزونات.. والحشرات المهموكة.. كما تزايد استهلاك بيورك للأعواد القطنية لتنظيف الأذن.. و الماء والصابون في الأوعية المعدنية.. تزايد أيضاً أشكال الوحوش التي يرسمها جاج إيرز في الخزانة أسفل حوض المطبخ حتى باتت تلك الوحوش مخيفة أكثر من ذي قبل.. قال أسكيلد: إنه التهاب في الأذن الوسطى.. مجدداً وجد جاج إيرز ترمومتر مغطى بفازلين يقحم في أذنيه.. ما كان يمثل له الذل بعينه.. كل يوم، كانت أمه تخلع عنه سرواله وتضع له لبوساً بارداً.. ما كان يتقبله الابن رغماً عنه.. في حين يصيح أسكيلد من الردهة بعدما لم يعد في قوس الصبر منزع: هل يعاني الصبي من الحمى؟ لكن النتيجة لم تتغير مع مرور الأيام.. لم يكن يعاني جاج إيرز من الحمى.. بل كان يخالجه شعور داخلي.. مشاعر مختلطة تجاه أمه.. كانت بيورك له حتى ذلك الحين هي الملاك الحارس في المنزل.. من كانت لديها القدرة على امتصاص تصرفات أبيه العنيدة.

لم يتغير في الأمر شيئاً مع مرور الوقت.. حينما رفعت بيورك لابنها سرواله، ابتسمت له ابتسامة رقيقة قبل أن تقول له: سيكون لك أخت صغيرة.

سألها جاج إيرز: كيف يحدث هذا؟ أجابته بيورك: لا يجب أن تسأل عن ذلك أيها الولد الشقي.. سل والدك.

قال أسكيلد لابنه: حينما يأتي أخوك الصغير إلى الدنيا، يجب أن تتصرف كأخ كبير وتتوقف عن التبول في فراشك، كان والده يشير إلى حقيقة أن جاج إيرز بدأ يتبول في فراشه أكثر من ذي قبل.. بعدما فقد الببغاء الذي أحضره

له والده من أمريكا قيمته وزال عن الصبية بالجوار الفضول القاتل الذي كان يتملكهم حيال ذلك الببغاء.

استطرد أسكيلد قائلاً: يجب أن تكون مثالاً يقتدي به أخوك ويحذو حذوه، ثم أردف بصوت فظ ونظرة صارمة تعلو وجهه قائلاً: لذا تجاسر يا بني.. كن لأخيك أخاً كبيراً.

لم يفهم جاج إيرز ما يتحدث عنه والده.. لكنه شعر بعدم الرضا عن نفسه وعن شخصيته حتى انعكس ذلك الشعور على تعبير جاج إيرز المفضل لديه فيما بعد: تسوء الأمور.. فمثلاً بعدما ينتهي من غداء ليلة الكريسماس، يسند على مقعده.. يتنهد بعمق قائلاً: تسوء الأمور دائماً في حياة أبي.. أو أثناء عشاء العمل، حينما يتأمل بإعجاب الاستثمارات غير الموفقة لمنافس ما، يمكنه قول: تسوء الأمور فعلاً مع فلان.. أراهن على أنه ينبغي عليه بيع أي شيء قبل نهاية العام، لكن جاج إيرز كطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره يقف أمام والده الذي تفوح منه رائحة التربنتينة، شعر أنه هو من تسوء الأمور بالنسبة له.. في حين يتعجب أسكيلد حاد الطباع قائلاً: لكن من أن يأتي هذا الطفل الملعون؟

استطرد أسكيلد وهو يتجشأ قائلاً: حينما تتعاشر الخنازير تلد صغار الخنازير.. بينما حينما يدخل الفرد في علاقة حميمة مع شخص آخر ينجب أطفالاً.. والآن اذهب والعب.

صاحت فيه بيورك: أسكيلد! ما هذه الترهات التي تخبرها لابننا!

أجابها أسكيلد: أعتقد أن الصبي يمكنه أن يسمع الحقيقة

لكن بيورك لم توافق أبداً على أسلوب حوار أسكيلد.. ثم همست فيما بعد وهي تحادث أختها هاتفياً قائلة: ذلك الرجل يدفعني للجنون.. يثمل كحيوان حقير تفوح منه رائحة الخمر إلى جانب رائحة التربنتينة الفظيعة.. بحق المسيح! كم أشتاق إلى بيرجين! اعتادت لينا منذ أكثر من عامين ماضيين أن تستمع إلى شكاوى بيورك.. تبتسم وهي فخورة بنفسها لأنها كانت موضع ثقة أختها.. فتطلق العنان لها لتنفس عن شعورها بالإحباط.. استطردت بيورك قائلة: سأخبرك بالعبارات والكلمات التي يستخدمها يومياً! أحمر خجلاً من مجرد التفكير فيها! كانت تنفث بيورك عن غضبها أثناء محادثتها

مع أختها هاتفياً.. ترتجف من مجرد ذكر تلك الكلمات التي تخدش الحياء.. والتي انتشرت كالنار في الهشيم فجأة في منزلها دون مقدمات.. والآن حقاً توقفت علاقتهما الحميمة بعد مولد جاج إيرز.. لكن مؤخراً عادت لتطفو فوق سطح حياتهما بشكل جديد.. كانت علاقتهما الحميمة أشبه بمعاشرة الحيوانات لبعضها البعض.. يتسلل أسكيلد شديد الثمالة.. تفوح منه رائحة الخمر والتربنتينة.. يزحف إلى فراش زوجته.. يمارس الحب معها بالقوة مما يعكس شعوراً رهيباً بإحباط مكبوت بداخله.. في حين يفوح عطر الطبيب لينعش أحلام بيورك مراراً وتكراراً.

لم تذكر بيورك عن ذلك شيئاً لأختها.. لكنها تشتكي منه فحسب قائلة: ذلك الرجل يدفعني للجنون، ثم تمتمت هامسة في نفسها: أتمنى لو يثمل حتى الموت، بعد ذلك أغلقت بيورك سماعة الهاتف وذهبت للبحث عن جاج إيرز الصغير الذي اختفى في الخزانة أسفل الحوض.

حينما وجدت أنه ما زال هناك كثير من الأشياء المقززة تخرج من أذني ابنها، قررت بيورك يوماً أن تأخذه إلى طبيب الأطفال.. كان عليها أن تدخل البلدة على كل حال.. كان اسم الطبيب بونتوبيدان.. كان رجلاً ناضجاً متقدم في السن.. وجدت بيورك نفسها محاطة بجميع أنواع الأدوات الطبية: أنابيب اختبا.. أجهزة قياس ضغط الدم.. وكتب ضخمة عن استمناء الطفل باليد والتي كانت من أهم اختصاصات ذلك الطبيب.. ما إن رأت بيورك حقيبة الطبيب واشتمت الرائحة المعقمة التي تذكرها بمن هو مألوفاً لديها، حتى شعرت بالراحة للمرة الأولى منذ زمن مضى.. جلس جاج إيرز ساكناً في مكانه بينما كان الطبيب يفحص أذنيه بدقة.. في البداية، انشغل الطبيب في التفكير في حجم أذنيه وكيف أنهما متعامدتين على رأس الصبي.. قبل أن يهتم بعد وهلة وينشغل بصلب المشكلة.. وهي الأشياء المقززة التي تنسكب كالشلال من أذني مريضه.. لم يدم ذلك الفحص طويلاً.

جلس دكتور بونتوبيدان على مقعده.. أمال ظهره إلى الخلف.. أشعل تبغه.. ساد الصمت الغرفة لوهلة قبل أن يقول لبيورك: التهاب في الأذن الوسطى؟ أهذا ما تعتقدينه يا سيدتي العزيزة؟ لا، دعيني أخبرك بذلك بصوت عال وواضح: ذلك الصبي يقحم أشياء في أذنيه.

صاحت بيورك: نعم، لكنني أمرته ألا يفعل ذلك.. نيلز! ألم آمرك بألا تقحم شيئاً في أذنيك؟

أومأ نيلز الصغير إيجاباً.. بينما هزت بيورك رأسها في استسلام ويأس بعدما تمنت أن تسمع تشخيصاً وافياً لحالة طفلها أو تسمع الطبيب يخبرها بإعطائه أقراص دوائية لتشفيه من علته.. ثم همست بيورك قائلة: إذاً، أعتقد ما من شيء يمكنك فعله.

أردف الطبيب: لما أنت متأكدة من ذلك؟ ثم استدعى الطبيب ممرضته لتصطحب جاج إيرز إلى غرفة الانتظار.. استطرد الطبيب وهو يضرب بيبته على المكتب: أتعلمين يا سيدتي العزيزة، هناك بعض الطرق.. هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟ هل مارست على ابنك أي نوع من أنواع العقاب البدني؟

أجابته بيورك وهي تجهل أية إجابة ينتظرها منها الطبيب: لم استخدم معه العقاب البدني كثيراً.

فقال لها الطبيب وهو ينظر إلى بيورك نظرة ثقة وانتصار: إذاً من الواضح يا سيدتي العزيزة أنه لابد منه الآن.. الضرب! استخدمي وسيلة الضرب حينما يضع أي شيء في أذنيه، اضربيه في الحال فالعقاب الفوري هو أهم مرحلة لعلاج ابنك حتى لا تختلط على الصبي الأمور ويدرك لما يستخدم والده ووالدته تلك الأساليب الضرورية!

سألته بيورك: لكن، ألا يوجد أي حل بديل؟

أمال بونتوبيدان ظهره إلى الخلف في مقعده ثم أشعل غليونه مجدداً.. في البداية، بدا منزعجاً لتردد بيورك لكن سرعان ما توهج وجهه بنور فكرة طرأت بباله.. هرع نحو أحد الخزانات الكبيرة وظل يبحث بين أجهزة قديمة حتى عثر على ضالته في شيء ما يبدو كدرع صغير.. دعنا نسميه الجهاز الغريب السخيف مثلما أطلق عليه جاج إيرز فيما بعد.. وضع الطبيب ذلك الجهاز الغريب على مكتبه وهو متحمس قائلاً: ها هو حلنا!

وجدت بيورك نفسها أمام مخصّر (كورسيه) حديد صُمم قبل الحرب العالمية الأولى على يد بنتوبيدان نفسه بعد دراسة متأنية لجهاز استخدم من قبل دكتور دانيال جي أم سكريبار والعديد من الأطباء الذين يتلاقون في نفس

التفكير.. كانت جميع تلك الابتكارات لغرض واحد فحسب وهو منع الأطفال من الاستمناء باليد أو القيام بأية أفعال لا أخلاقية.. لذلك كان المُخصّر ابتكار قديم حتى في بدايات عام 1950.. همست بيورك في نفسها في تعجب ودهشة: ما هذا بحق الجحيم؟ ثمة شعور داخلي لدى بيورك يدعوها لرفض ذلك الحل السخيف لكنها شعرت كثيراً بالتعب من كثرة تنظيف أذنيه من الوحل ومن كثرة استخدام الأعواد القطنية.. كانت تشعر بالإحباط حيال كل تلك المشكلات التي تحيط بحياتها الأسرية.. كما إنها كانت مفتونة بقوة تأثير الطبيب اللامع الذكي.. فسرعان ما أقنعت نفسها به وبما سيخبرها به.

شرح لها الطبيب: يمكنه أن يلعب قدر ما يشاء.. لكنه لن يمكنه رفع ذراعيه فوق كتفيه، كما أضاف قائلاً: حينما تكونين أنت وزوجك حاضران، لا داعي لأن يلبس الصبي ذلك المُخصّر بالطبع.

لكن هناك بعض التوضيحات التي يجب على الطبيب شرحها.. حيث أن المُخصّر لن يستطيع أن يفي بالغرض المطلوب منه، يمكن لجزئه السفلي أن يتحرك.. كل ما هو مطلوب هو الجزء العلوي فحسب الذي سيكون محكم الربط إلى رسغي الصبي لتحديد حرية حركته.

استطرد الطبيب قائلاً: إن الدافع والقوى الرهيبة الشاذة التي تدفعه لعادة إقحام الأشياء في أذنيه ليست كتلك التي تميز الاستمناء باليد، لم يخف ذلك الطبيب المتقدم في العمر شغفه واهتمامه بعمله الذي شعر به في الماضي، حيث أنه استخدم المُخصّر مع أطفاله لفترة قصيرة وكانت النتائج مذهلة حقاً.. فها هو الآن ابنه يعمل طبيباً تحت التدريب وابنته تزوجت من ضابط بحري في أوسلو.

قالت بيورك: حسناً، من الأفضل أن أستخدم أسلوب الضرب

استدعى جاج إيرز الآن بعدما ترك خلفه ثلاثة وحوش وناب واحد مرسوماً على الحائط أسفل مقعده في غرفة الانتظار.. في البداية، لم يكن يدري الطفل مصيره الذي ينتظره حينما كان يأخذ الطبيب مقاساته ويتجرأ على مضايقة الصبي.. لكن ما إن بدأ في مضايقته حتى تعالت صرخات مدوية ترج أركان العيادة.. ثم جاءت الممرضة فزعة.. مروعة.. مجفلة

لتمسك بالطفل.. تراجعت بيورك في الحال.. وأخذ الطبيب يسب ويلعن بصوت مرتفع.

صاح الطبيب: لقد عضني.. عليه اللعنة! وبدأت قطرات الدماء تسيل من يد الطبيب ثم على الجهاز الغريب السخيف أخذ جاج إيرز يتمتم أثناء سيره في شوارع كريستيانساند وعينيه لا تفارقان الرصيف قائلاً: أمي مغفلة.. مغفلة حقاً!

الفرار بعيداً عن الواقع

حينما عاد أسكيلد إلى بيته من ساحة السفن ووجد ابنه أسفل الحوض، صاح قائلاً: ما الذي يرتديه ابني بحق الجحيم! أيّ درع ذلك بحق المسيح!

ما إن سمع جاج إيرز صوت أبيه حتى زحف خارج الخزانة وهو يئن ويتذمر حتى يتسنى لوالده أن يلقى نظرة عن كثب على مخصّر بونتوبيدان. .. ثم صاح الصبي معترضاً: لا أريد ارتداء ذلك يا أبي.. لا أريده! ذلك الجهاز السخيف الغريب!

نظر جاج إيرز نظرة استجداء لوالده من أخذ يفرك بقعة سوداء على وجهه من آثار العمل في ربكة وحيرة من أمره حتى وصل إلى قرار نهائي فصاح قائلاً: اخلع ذلك الجهاز السخيف!

لم يتفق أسكيلد مثلما ذكرنا من قبل مع بيورك في اعتقاده وايمانه بالمهام والاختصاصات الموكلة للفرد.. لم يكن يثق أبداً في هؤلاء الأطباء من يظنون أنفسهم قادرين على فعل المعجزات وانجاح المستحيل.. من يظنون أنفسهم كالسحرة يمارسون السحر والشعوذة لشفاء المرضى.. تذمر أسكيلد وهو يتحسس ذلك المخصّر قائلاً: لن يركض ابني هنا وهناك بهذا الشكل أبداً! لأسباب معينة، قررت بيورك الدفاع عن وجهة نظرها لأول مرة.

حينما حاول أسكيلد فك الأربطة والأحزمة لحل وثاق ابنه من جهاز التعذيب هذا الذي أعطاه له الطبيب، صاحت بيورك قائلة: لا يجب عليك فعل ذلك إلا بأوامر من الدكتور بونتوبيدان.. سيرتديه لمدة شهرين فحسب.

لكن أسكيلد لم ينصت إلى حديثها وصاح قائلاً: لن أسمح بذلك أبدا ً، حينما نجح أسكيلد في حلّ الحزام ثم الآخر، لم تتراجع بيورك عن رأيها وصممت على تنفيذ أوامر الطبيب.. فدفعت بنفسها بين الأب وابنه بقوة حتى هوى جاج إيرز أرضاً.

ثم صاحت قائلة: والإ سأغادر المنزل وأذهب إلى أمي

ساد الصمت المكان لوهلة.. نظر جاج إيرز إلى أمه في رعب.

فصاح أسكيلد مقلداً صوت زوجته في سخرية واستهزاء بنبرة طفل باكي: أمي، أمي، أريد أن أذهب إلى أمي.

لكن استطردت بيورك وهي تهز أسكيلد بعنف: أنا أعني ذلك يا أسكيلد.. سأغادر المنزل!

فصاح أسكيلد.. من كان تفكيره مزدحماً بالعديد من الأمور يتضمنها تذمر من قبل العاملين في ساحة السفن والذي انتشر كالنار في الهشيم في جميع أرجاء العمل.. وكان سببه دوماً هي ذات المشكلة القديمة.. فقد ظهرت العديد من الآراء والاقتراحات المتعلقة بتصميمات السفن الخيالية التي يقدمها أسكيلد للجنة العمل وبإلهامه في اتخاذ الأسلوب التكعيبي في تصميماته.

انسحب أسكيلد إلى الردهة.. ما يعد خيانة واضحة لجاج إيرز.. من تركه وحده في المطبخ مع أمه الغبية التي صممت على ارتداء ابنها ذلك المخصّر السخيف دون أن تعبأ بعبارات السخرية والاستهزاء التي هطلت على رأس ابنها كالمطر في الشارع طوال الأيام التالية.

- ألم تروا جاج إيرز؟ إنه يلبس درعاً!
- ياله من أخرق! اليوم ليس عيد الهالويين!

بالطبع استمرت جلسات علاج أذنيه.. لكن هذه المرة لم يتمكن جاج إيرز من الدفاع عن نفسه ودرئ الخطر عن أذنيه.. فقد كان يعوق حرية حركته ذلك المخصّر السخيف الذي اقترحه الطبيب لعلاج الحالة.. واستمر الحال على هذا المنوال.. يقحم الصبية كل ما هو غريب في أذني جاج إيرز بزعم علاجه من علته.. بينما ظلت بيورك تنظف أذني ابنها من الوحل وقطع الحلزون التي تملأهما عن آخرهما.. بعد مرور شهر من فشل ذلك الجهاز الغريب السخيف في القيام بمهمته المستخدم لها وحينما ذهبت بيورك مجدداً إلى مكتب الطبيب بونتوبيدان للشكوى من النتائج السلبية للمخصّر، بدا الطبيب عجوزاً وكأنما تقدم به العمر عشرة أعواماً كاملة.. حدّق بالأم في ذهول ودهشة.

ثم قال: هل الأمر متعلق بالنتوءات على قدميه مجدداً؟

أجابته بيورك في دهشة وتعجب: نتوءات على قدميه ! الأمر متعلق بأذنيه.. يجب أن تفحصهما مجدداً، لكن لم يجد الطبيب ضرورة من القيام بذلك الأمر.

أردف الطبيب شارد الذهن قائلاً: يجب أن ننتظر حتى نرى كم سيستغرق ذلك الأمر من الوقت.. كل شيء في حينه يا سيدتي العزيزة.. ستستيقظين يوماً ما وستجدين كل شيء قد انتهى.

لم يكن من بيورك سوى أن أمسكت بيد ابنها وعادت أدراجها إلى المنزل.. تجوب العديد من شوارع المدينة.. يخالجها شعور قوي بالحيرة والاضطراب.. لكن ما إن استحضرت حقيبة الطبيب في مخيلتها حتى عادت لتثق في كلام الطبيب كحالها دوماً.. تؤمن بالأطباء ولا تفقد أبداً ثقتها في التأثير السحري لحقيبة الطبيب عليها.. ثم قالت لابنها في طريقهما إلى المنزل: لقد سمعت حديث الطبيب.. يقول أن يوماً ما سيكون كل شيء على ما يرام.

بدأ أسكيلد لا يلقي بالا ً.. لا يعبأ أبدا ًبمنظر مخصّر بونتوبيدان.. فقد كانت تتزاحم العديد من الأمور في عقله مثلما كانت دائماً لفترات طويلة حتى آخر يوم في حياته.. في حين لم تره عائلته مشغول البال أبداً، فقد كان يشحذ زناد عقله في الحانات فحسب.. وبعدما هددت بيورك بالعودة إلى منزل والدتها في بيرجين، قلّت لحظات الحديث بينها وبين أسكيلد حتى اقتصرت على الضرورة القصوى.. في ذات يوم، تبنيا عادة بين بعضهما البعض والتي أصبحت ملازمة لهما حتى الأيام المتبقية في حياتهما.

في السادسة مساءاً، تتناول بيورك طعام العشاء مع ابنها جاج إيرز في المطبخ.. ثم يُعاد تسخين الطعام.. تُلف القدر في جرائد.. ثم يُوضع الطعام كله تحت الألحفة في غرفة النوم ليبقى الطعام دافئاً حتى يعود أسكيلد من عمله الساعة التاسعة.. وبذلك تحولت غرفة نومهما التي كانت متنفساً للقائهما معاً في الظلام الدامس، إلى غرفة خزين لتخزين كرات الأسماك.. السمك المشوي.. وحساء الكرنب.. فبدأت تزحف رائحة الأطعمة المختلفة المستفزة لتمسك بالألحفة.. أتذكر تلك الرائحة حتى الآن وكأنها البارحة.. اعتدت أن تثير تلك الرائحة حاسة الشم لدي منذ صغري.. كلما دخلت غرفة نومهما المظلمة المكدسة بالأطعمة المختلفة في تانوفي.. منذ ذلك الحين، بدأت تعبيرات وجه أسكيلد تتغير.. ويعكس تغيرات ملحوظة في شخصيته: تتدفع العبارات اللاذعة من فمه.. تتطاير النظرات العابسة الكئيبة من عينيه حتى بدا للجميع بخيلاً نوعاً ما.. بدأت رائحة الكحول ودخان التربنتينة في بدايات عام 1950 تترك آثاراً واضحة على وجه جدي من تقدم به العمر بشكل ملحوظ.

بدأت المشاكل تتكالب على أسكيلد حتى مساء يوم ما، حينما قرأ جدي إعلان في الصحيفة.. ما إن انتهى من قراءته جيداً حتى وُجد فيما بعد يركض خلف رئيسه يتملكه غضب عارم.. ظل يهرول خلفه حتى وصل إلى منتصف ساحة السفن.. أخذ يلوّح بعصاه وهو يصيح أنه سيبرح الرجل ضرباً.. بعد مرور نصف ساعة، كان رئيسه في مكتب سجل العاملين.. يأمر بشطب أسكيلد إريكسون من السجل.. ياله من رجل مجنون! في صباح اليوم التالي، قرع ضابطان من الشرطة باب أسكيلد لاعطائه انذار رسمي بألا يعود إلى ساحة السفن أبداً.. بينما وقفت بيورك ساكنة.. تحدّق في المحضرين في ذهول وتعجب.. سواء قبل أو بعد تلك الحادثة، قرأ أسكيلد إعلان قصير مكتوب فيه كلمة ستافينجار.. تلك الكلمة التي علقت في ذهنه وسيطرت على تفكيره.

لم يعترض أحد من الأسرة حينما أعلن أسكيلد في مساء يوم ما أنه و زوجته قد ضاقا ذرعاً بكريستيانساند ما كانت لهما أساس كل المشكلات فقرر أسكيلد أنهما سيغادران البلدة إلى بلدة ستافينجار الذهبية حيث سيعيشان كالملوك والأباطرة.. فكرت بيورك في نفسها في الأمر ملياً: ستافينجار؟ على الأقل اختار أسكيلد الاتجاه الصحيح .. فهي أقرب إلى بيرجين من كريستيانساند! منذ ذلك الحين، بدأت بيورك تترقب اليوم حينما تحزم حقائبها وتغلق باب ذلك المنزل خلفها إلى الأبد لتخلف ورائها كل ما كان يرعبها ويخيفها في ذلك المنزل المشئوم.. الذي يعج بالوحوش الذي اعتاد ابنها رسمها على جميع الحوائط.. وبأشباح زوجها التي تتملكه و تسيطر على جميع أفعاله ونظراته التي باتت مختلفة كلياً في الآونة الأخيرة.

في حين ساورت البعض العديد من الشكوك.. مثلما قالت لينا لاختها بيورك على الهاتف: لما لا تعودا إلى بيرجين فحسب؟ بحق المسيح! ألا يمكنه العودة إلى عمله القديم؟ في غضون ذلك، بدأت

تتزاحم أمام الأعين الكثير من الصناديق في ساحة المنزل.. وكذلك العديد من الحقائب والملابس مختلفة الأحجام والأنواع متناثرة هنا وهناك.. حينما سمعت صيحات تنادي من الشارع: جاج إيرز! ماذا يحدث؟ إلى أين تذهبون؟

فأجاب جاج إيرز: بعيداً، ثم هرول الصبي داخل المنزل ليختفي في الصناديق الكرتون ويكتشف كل أسرار أسرته: السراويل الداخلية.. الصور والخطابات القديمة والتي كانت الكثير منها مرسلة من قبل دكتور ثور.. وقد نجح ببراعة في تغطية كل تلك الصناديق برسومات الوحوش الصغيرة بأعداد هائلة مما أفزع الحمّالين وحوّل عملية نقل العزال إلى جلبة وضجة شديدة.. بالطبع لم يغير حمل بيورك في الأمر شيئاً .. مثلما لم يضف شيئاً تصرف أسكيلد حينما قام بتقديم الخمر للحمّالين بروح معنوية عالية خلال أيام قبل تركهما المنزل.. كما لعب معهم البوكر في ساعات مبكرة من اليوم.. ثم قام بتعريفهم بموسيقي الجاز الساعة الثالثة صباحاً ليضفي ساعات متعة أكثر لليوم.

وكم كان منظر وصول العائلة إلى هافينباكين في ستافينجار غريباً حقاً بالنسبة للجيران والأطفال الذين يلعبون بالشارع.. ما إن وصلت أسرة أسكيلد إلى محطة القطار حتى أعجب أسكيلد بحصان عجوز كان واقفاً في الجهة المقابلة للرصيف.. يأكل بعض الكرتون.. برغم اعتراض الشياليين ومحاولات بيورك المضنية لإقناعه بأن يتصرف بعقل واعٍ إلا إن أسكيلد قرر أن يجعل ذلك الحصان يجر عربة نقل الآثاث طوال الطريق إلى هافيناكين.

في آخر العربة التي كانت تتمايل بشدة، كان هناك الشياليين الثلاثة.. شديدي الثمالة.. مستغرقين في نوم عميق.. يرتفع صوت غطيطهم عالياً.. بينما أمام العربة، كان جالساً رجل واثق في نفسه.. يمسك عصاه بيد وزمام الحصان باليد الأخرى.. في حين يجلس على كتفه الأيسر، ببغاء أخذ يصيح: اللعنة.. بحق الجحيم! من يتنقل بهذا الشكل؟ بينما تجلس بجوار الرجل.. امرأة في شهور حملها الأخيرة.. لم تغمض لها جفن طوال الليل.. أما فوق جميع الأمتعة وصناديق النقل.. كان جالساً وكأنه على قمة برج عالي.. صبي صغير مضحك الهيئة.. بأذنين عملاقتين.. مرتدياً درعاً غريباً يمنعه من تحريك ذراعيه.

وقف الجيران جميعاً على أعتاب منازلهم يشاهدون عربة النقل وهي تتهادي في الشارع يجرها حصان منهك القوى.. بينما يركض خلفها الأطفال بالجوار.. يظنون أنها عربة السيرك أتت إلى بلدتهم ليحظوا أخيراً ببعض المرح في أيامهم الرتيبة المملة.. لكن الكثير منهم أصابهم الإحباط حينما علموا أنها مجرد عربة نقل عزال لأسرة أتت حديثاً مشاركتهم الحياة في بلدتهم الصغيرة.. في حين شعر البعض الآخر بالإثارة والمتعة لمجرد الشبه الكبير بين عربة العزال وعربة السيرك.

لكن لم تكن ستافينجار بلدة الذهب والنعيم مثلما كان يظن أسكيلد، فلم تستقبل الأسرة كالملوك والأباطرة مثلما كان يحلم رب الأسرة.. حقاً كان أطفال الجوار متحمسين بمساعدة الأسرة في نقل الأثاث.. وهو ما كانت الأسرة تحتاجه بالفعل حيث أن الشياليين لم ينهضوا بعد من سباتهم العميق.. بينما ظل الرجال والنساء البالغين في منازلهم وحينما عدى أحد الجيران الشارع للترحيب بالسكان الجدد، انسحب على الفور قائلاً في نفسه: يدعي أنه مهندس! ما هذا اللغو! ما هو إلا عامل في ساحة السفن في رأيي.

لم يتمكن أحد من إيقاف أطفال الجيران عن الاستمرار في إزعاج تلك الأسرة.. فقد دفعهم فضولهم إلى حمل الصناديق والخزانات حتى تبعثرت خطابات دكتور ثور القديمة على أرض الحديقة.. تمزقت المفارش.. وأصدرت الأطقم الصيني أصوات قعقعة شديدة كانت هي مصدر جلبة وفوضى عارمة قبل أن ينكسر بعضها على أرض الممر المؤدي إلى منزل الأسرة الجديد.. كان اهتمام الأطفال منصب خصيصاً على جاج إيرز الصغير.. فسألوا بيورك: ماذا به؟ هل يعاني من التشنجات؟ لهذا السبب يرتدي ذلك الشيء؟ فأجابتهم بيورك بصبر وبهدوء شديد أن ابنها الصغير يعاني من عادة إقحام أي شيء في أذنيه وأن المخصّر لم يكن درعاً مثلما يراه البعض بل كان اختراع لطبيب فائق الذكاء.. مع مرور الأيام، صار جاج إيرز أضحوكة الجوار كله.. كانت تُسمع عبارات السخرية والاستهزاء ترج أرجاء الشارع وتضايق جاج إيرز نفسه الذي كان يسمع السخرية من أذنيه ولم يحرك ساكناً.

يصيح الأطفال قائلين: أنت.. هناك! هل يمكن أن نناديك بـ جاج إيرز؟ اقترب وارنا كيف تقحم أشياء في أذنيك؟

بالرغم من رفض جاج إيرز البات للاختلاط مع هذا العالم مجدداً، إلا إنه لم يكن منه سوى الإذعان والانصياع لأوامر هؤلاء الأطفال.. في حين كان والده دائماً ينصحه باللعب خارج المنزل كأي صبي كبير.. كما قال له يوماً ما: الفئران فحسب هي التي تعيش أسفل حوض المطبخ، فأطاع الصبي والده.. أخذ جاج إيرز يتهادى في مشيته مرتدياً ذلك المخصّر السخيف الذي وصمه بالتشنج وجعل الأطفال ينعتونه بالكرة الغريبة المتدحرجة في شوارع ستافينجار.. حينما وقف الصبي أمام معذبيه المرتقبين، قال لهم بدون تردد: لا يمكنني فعل ذلك بنفسي، لكن إن وعدتموني بألا تجذبوا أذني بقوة، سأسمح لكم بفعل ذلك عني.

أجابه أحد الأطفال: اتفقنا.. لكن ماذا سنضع بداخلهما؟

حينما كان يحسب المدة الزمنية التي ينبغي عليه قضاءها خارج المنزل في الشارع ليرضي والده، اقترح جاج إيرز عليهم ذلك الاقتراح قائلاً: ما رأيكم أن تضعوا فيهما أوراق الشجر؟

لم ينقض وقت طويل على انتقالهم إلى ستافينجار حتى بدأت بيورك تراودها أحلاماً تنذر بسوء مرتقب.. كانت تلك الأحلام ترعبها وتقضّ مضجعها.. في ليلة ما، استيقظت فزعة بعدما راودها حلم فظيع أن طائر كبير حطّ على فراشها وبدأ ينقر في بطنها المنتفخة ويحدث بها ثقوباً عدة.. في ليلة أخرى، نزلت شخصية من الشخصيات التي رسمها أسكيلد بالطريقة التكعيبية من على الجدار.. اقتربت من بيورك تهددها بمشرط كبير في يدها.. حينما استيقظت بيورك من ذلك الحلم الأخير، كانت الساعة الثالثة صباحاً.. انتفضت من فراشها.. يدفعها ألم شديد وغريب للركض إلى الحمام.. لكن ما إن همّت بالجلوس على المرحاض حتى أدركت ما يحدث لها.. فأسرعت عائدة إلى غرفة نومها.. هزت أسكيلد بشدة لتوقظه من نومه وهي تصيح: سيولد الطفل الآن! اتصل بأمي!

فسرعان ما ارتدى أسكيلد منامته وهرول إلى الهاتف ليتصل بحماته التي أخبرته أن حالة بابا ثورستن ساءت عن ذي قبل في تلك الليلة لذا لا يمكنها أن تأتي إلى ستافينجار الآن.. همست بيورك: لا! يجب أن نعود أدراجنا إلى بيرجين، لكن أسكيلد أمرها بالعودة إلى فراشها وعدم الاقتراب من المرحاض.

ثم طمأنها قائلاً: إن تطورت الأمور سريعاً وقرُب موعد ولادتك الفعلي، يمكننا الذهاب إلى بيرجين، ثم نادى على القابلة

ما إن صرخت بيورك من الآلام الأولى للمخاض حتى انتفض جاج إيرز من نومه خائفاً فزعاً.. فوجد والده في المطبخ.. قبل أن يقول له أسكيلد في ترقب: سيأتي أخوك الصغير إلى الدنيا.. تذكر ما اتفقنا عليه.

تمتم جاج إيرز قائلاً: نعم يا أبي، ثم تسلل إلى داخل الخزانة أسفل حوض المطبخ مجدداً حينما واتته الفرصة للقيام بذلك.. حيث جلس طوال الثمانية والأربعين ساعة التي ظلت فيها بيورك تعاني من آلام المخاض الشديدة.. لم يكن المولود في عجلة من أمره للخروج إلى الدنيا مثلما جاء أخوه الأكبر.. ظل جاج إيرز في الخزانة حينما تحولت ثرثرة القابلة الموحية بالتفاؤل إلى همسات يشوبها القلق العارم.. ظل جاج إيرز في مكانه داخل الخزانة يتابع الموقف عن بعد.. حينما أتى إلى منزلهم طبيب شاب يتبعه فريق عمل طبي كبير.. من لم يسمع الصبي حديثهم بوضوح بسبب الوحل المقزز داخل قنواته السمعية.. بعد قليل، اخترق أذنيه صوت صياح أمه قائلة: لا، لا يمكنني التحمل!لا! لم أعد أحتمل!

في تلك الأثناء، كان جاج إيرز بصحبة جميع الوحوش التي عاد ورسمها في الخزانة.. كما أضاف إليها بعض الكائنات الفضائية الجديدة والقريبة الشبه بالوحوش القديمة.. ولسان حاله يقول عنه من الصعب أن يستبدلا ابنهما بطفل صغير أحسن منه.. ما إن شرد جاج إيرز بذهنه قليلاً حتى

وردت إلى مسامعه همسات أسكيلد الماضية وحديثه السابق معه: تلك الأذنين! إنهما رائعتان! يمكنك أن تسمع بهما ما لا يسمعه غيرك.. يمكنك سماع ما لا يسمعه قرويو كريستيانساند الحمقى.. لكن ما الذي يمكنني سماعه يا أبي؟ أنصت! لكن ما الذي تريدني أن أسمعه يا أبي؟ تنبه جاج إيرز وعاد إلى واقعه المعاش حينما سمع صرخات بيورك المدوية من غرفة نومها.. فحاول الصبي بكل جهده الإنصات والاستماع لما يقال حتى يمكنه إرضاء والديه ولو لمرة واحدة.. ثم شعر جاج إيرز بشيء ما يتدفق في قنواته السمعية.. أحلام طفولية وأفكار بريئة بدأت تختمر في عقله.. تندفع بقوة مع ذكرياته المؤلمة لأعوام سابقة من لم يكن سببه توقف بيورك عن الصراخ، بل بسبب استمرارها في الصراخ ليوم كامل فيما بعد.. حتى قرر جاج إيرز الفرار بعيداً عن الواقع المعاش و الانعزال في خيالاته وضبط سمعه على ترددات أخرى.

ثمة مشهد درامي مختلف بدأ يطغى على مشهد ولادة الطفل الصغير، بدأ جاج إيرز يسمع أصواتاً مختلفة عن أصوات أمه وأبيه.. القابلة والطبيب.. أصواتاً تندفع لتجبر الصبي على سماعها عنوة.. صار هناك لغط وهرج عارم قبل أن يصيح صوت بعيداً عن أصوات الآخرين قائلاً: يا بني، هل أنت مستيقظ؟ ثم ساد الصمت مجدداً .. بعد وهلة، عاد الصوت ثانية.. يتحدث عن التبول في الفراش.. الذل والهوان والإرث الكبير الذي فقد بعدما أطاحت به الأعاصير السبعة ودفنته تحت الأرض.. بعد قليل، بدا الصوت استرضائي مطمئن قائلاً: فليذهب كل ذلك إلى الجحيم! حانت اللحظة.. لقد رقدت في مكانك هذا بلا هدف سبع سنوات مضت تتبول على سروالك وتتصرف كالطفل الصغير.. دعنا نتخطى ذلك الأمر الآن.. لا يوجد ما تخاف أو تهرب منه.. هل ستأتي معي يا بني؟ بعد وهلة، سمع جاج إيرز صوت آخر يعرفه جيداً.. إنه صوت جده لأمه بابا ثورستن.. من قال بصوت خافت ضعيف: نعم يا بني.. أنا قادم.

غناء الروح

في صباح اليوم التالي، حينما استيقظ جاج وإيرز من نومه سمع صوتاً باكياً.. فأسرع إلى غرفة نوم والديه حيث رُزقت بيورك بطفلة صغيرة شاحبة اللون منذ ساعة.. فقال أسكيلد بعدما وجد أنه انخدع حينما اعتقد أن المولود سيكون صبي آخر: حسناً، لم يكن ذلك خطؤها على أي حال.. مع مرور الأعوام، بدأ أسكيلد و بيورك يتبنيان طريق مزدوجة في التعامل مع أبنائهما الثلاثة.. كان أسكيلد دائماً يقول لابنيه: أنتما الاثنان يجب أن تتشجعا وتتحملا أكثر من ذلك و إلا ستندمان فيما بعد، ثم يقول عن ابنته: بحق المسيح! إنها تبذل ما في وسعها، وحينما كان ثملاً.. أو هكذا يكون دائماً.. يضع الطفلة الصغيرة على حجره ويتمتم بأصوات الأطفال الرضع التي يصدرونها ببراءة.

كانت بيورك تعامل ابنتها الصغيرة بحب جارف واهتمام شديد منذ البداية، تغني لها العديد من الأغاني عن المستقبل الباهر الذي ينتظرها.. تقوم بحمايتها بكل ما في وسعها من عيون الحسد.. بعد مرور عامان، شرح الطبيب لبيورك ما علمه الجميع لفترة طويلة.. أن الطفلة مصابة بتلف في المخ ولن تكون لديها القدرة على الكلام أبداً.. ما إن أخبرها الطبيب بذلك حتى وقع حديثه عليها كالصاعقة.. ما أثلج قلب الأم المسكينة.. لا يعنى ذلك أنها أهملت ابنتها.. لكن ما من شيء قد تغير مع مرور الوقت.. أعوام كثيرة مضت، قالت بيورك: لست مخطئة في طريقة تربيتها.. فلا يلق عليّ أحد اللوم لذلك، لكني كنت أكترث دائماً لأمر أولادي.

قال أسكيلد وهو يحمل جاج إيرز ليتمكن من طبع قبلة أخوية دافئة على صدغ المولودة الصغيرة ثم قال له: اقترب منها.. سلّم على أختك الصغيرة فرفض جاج إيرز قائلاً: لا، لا أريد ذلك، لكن أسكيلد صمم على موقفه.

فتذمر الأب وقال لابنه: هيا، أعطها قبلة على صدغها!

صاح جاج إيرز وهو يضرب أباه بقسوة وعنف حتى اضطر أسكيلد أن يرغم الصبي على تقبيل المولودة عنوة بكل ما أوتي من قوة.. حينما وقف جاج إيرز على الأرض مجدداً، تذكر الأصوات التي سمعها هذا المساء.

تعجب جاج إيرز بفخر لنجاحه في سماع كل ما لا يسمعه الآخرون بأذنيه الكبيرتين و هو ينظر إلى والده و والدته مترقب منهما تعليق على ما قاله: لقد ذهب جدي ثورستن إلى نوردلاند ليظل مع والده! لقد سمعت ذلك الكلام بأذني!

سأل أسكيلد: ماذا قال؟

صاحت بيورك قائلة: بحق الرب! لقد نسيت تماماً أمر بابا ثورستن في بيرجين.. ثم استطردت: أرجوك يا أسكيلد اتصل بأمي

بعد مرور فترة قصيرة، حينما اتصل أسكيلد بحماته، علم أن بابا ثورستن قد توفي ذلك المساء.. ثم وُضع في قالب ثلجي حتى تستجمع بيورك قواها وتسافر إلى بيرجين وتشارك في الجنازة.. استغرق ذلك الأمر أسبوعين كاملين، بالرغم من الاحتفاظ بجثمان ثورستن في مخزن بارد، إلا إنها بدأت تفوح منه نفس الرائحة التي كانت تفوح من أسكيلد يوماً ما بالرغم من أن بابا ثورستن لم تكن له نفس عادة أسكيلد، فانتهى به الحال في ثلاجة في انتظار بيورك.

سرعان ما عبأت تلك الرائحة أرجاء الكنيسة كلها حتى طغت على رائحة الزهور الجميلة.. ذهبت بيورك إلى بيرجين وحدها ومعها طفلتها حديثة الولادة.. ثم جلست في الصف الأول مع ماما إيلين وسط كل ذلك الصخب والجلبة بالكنيسة، تمكنت بيورك من شمّ رائحة ناعمة رقيقة.. باختصار، كانت رائحة عطر دكتور ثور الذي يعكس شعوره بالكآبة والوحدة.. تلك الرائحة التي انبعثت من الصف الثالث بالكنيسة حيث وجدت بيورك دكتور ثور جالساً على المقعد الخشبي الطويل المحجوز لأصدقاء العائلة القدامى.. في الحقيقة، أغلب أصدقاء العائلة القدامى ولوا الأدبار بعدما غرقت السفن.. كان ثور يجلس وحده في ذلك الصف.. بالرغم من ذلك، إلا أن بيورك شعرت أنه نجح في أن يملأ المكان الشاغر.

في صباح اليوم التالي، بعدما دفن بابا ثورستون، قابلت بيورك صاحب ذلك العطر الرقيق مجدداً في فيسكيتورجيت عصراً.. ثم في مطعم عام حيث جلسا معاً لتناول بعض الشطائر.. كان دكتور ثور من اكتسب شهرة كبيرة بمقالة نشرت له عن جراحة الأعصاب.. يتصرف باحترام كسيد مهذب كعادته دوماً.. كان يتحدث بلباقة.. ينصت باهتمام.. يمسح فمه بحرص بالمنديل بعد تناول طعامه.. على عكس أسكيلد تماماً.. من اعتاد على سلوك قذر.. أن يمسح فمه في أكمام قميصه.. كان الطبيب طيب القلب مفعم بالمشاعر والأحاسيس من يدفع الآخر للبكاء من شدة التأثر به.. حينما ألقت بيورك نظرة خاطفة أمامها، لمحت صورتها بعينيه وهي تتناول طعامها بنهم واضح وجوع شديد.. كما شعرت بأحاسيس الكآبة والوحشة ترتسم على وجهه.. بالرغم من أنه لم يفقد حس الفكاهة الذي يتمتع به.. قال دكتور ثور ضاحكاً بعدما انتهيا من تناول طعامهما مرحاً! ثم أخرج العملة المألوفة من أذنها قائلاً: هنا يكمن حس الفكاهة لديها! ثم استأذن دكتور ثور بالانصراف.. فقبّلا بعضهما البعض بحميمية أكثر من المعتاد من امرأة متزوجة وصديق قديم للعائلة.

شعرت بيورك بإثارة وحرارة شديدة تسري في جسدها بعدما قبّلها الطبيب المرهف الحس.. خالجتها مشاعر جياشة انفطر لها قلبها.. فأخذت بيورك تفكر طوال رحلة عودتها إلى ستافينجار بالسفينة: لما لا أعود إلى المنزل في ستافينجار ثم آخذ ابني وأعود أدراجي إلى أمي؟ ماذا أفعل في ستافينجار؟ حينما رست السفينة في ستافينجار ولم تجد أكسيلد ينتظرها مثلما وعدها من قبل،

استمرت الأفكار والوساوس تجول في ذهنها: كيف وصلت الأمور بيني وبين أسكيلد إلى هذا الحد؟ هل بدأ زوجي يشعر بالامتعاض تجاهي؟ لكن حينما وصلت إلى منزلها أخيراً ووجدت زوجها من نسي أمر وصولها تماماً أقل ثمالة من المتوقع ولبنها المهمل يزحف خارج مكانه المعتاد للاختباء أسفل حوض المطبخ.. يركض نحوها في شوق و لهفة، طردت جميع الوساوس السابقة و قالت في نفسها: ما تلك الترهات التي كنت أفكر فيها؟

حينما حاول أسكيلد أن يتجاذب معها أطراف الحديث عما حدث في بيرجين، ادعت بيورك أنها ودكتور ثور تقابلا بمحض الصدفة.. ثم أردفت قائلة: ذلك الرجل كان دائماً يلاحقني.

بعد مرور أعوام على ذلك الحدث، بدأت بيورك تصفّر نغمات مختلفة عن ذي قبل في مطبخ المنزل حيث نشأت.. ثم بدأت جدتي تطرح تعليقات وملاحظات تتضمن أهمية المقابلات التي لا تقتصر على الصدفة.

ثم بدأت تفكر في نفسها ملياً: إن عاد الزمان إلى الوراء، لصرت شجاعة مثلما كنت في الماضي.. لطوّرت علاقتي سريعاً مع دكتور ثور مثلما كنت في شبابي.. لكنني الآن متزوجة منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً من رجل سكير.. و بالرغم من ذلك، لا يمكنني تركه، ثم تبع تلك الأفكار فصلان كوميديان:

الفصل الأول: تذهب أمي إلى غرفة النوم وتخرج مجدداً بأوراق الطلاق.. تضعها على المكتب.. ثم تعود إلى المطبخ ثم تضع الأوراق أمام جدتي بيورك.. مشيرة لها إلى مكان التوقيع وإلى حيث ستملأ البيانات.. بيد مرتعشة، تنصاع جدتي إلى أوامر أمي وتوقع اسمها.. حينما تكتمل إجراءات الطلاق وتضع أوراق الطلاق على الطاولة، في حين تغرورق عينا جدتي بيورك بدموع الراحة والسعادة، تشكر أمي بحرارة ثم تحتسيان الشاي معاً.. قبل أن تنفث جدتي دخان سيجارتها في سعادة.

الفصل الثاني: بعد تناول الشاي، تتردد جدتي بيورك.. تقول أنها لا تريد من أمي أن ترسل تلك الأوراق.. إنها ستأخذها معها إلى المنزل وتفكر في الأمر ملياً ثم سترسلها بنفسها في غضون أسبوع أو أثنين.. ثم توعد أمي بذلك قبل أن تنطلق مسرعة في طريقها وأنا على أعقابها.. تحكي لي بعض القصص وتقبّلني قبلة الوداع قبل أن تنعطف في زاوية من منعطفات تانوفي.. وماذا عن أوراق الطلاق؟ تقذفها جدتي في الشارع لتكون كأوراق الشجر تذروها الرياح.. ثم بعد شهور، تعود جدتي بيورك و ينتهي المشهد كله فيتكرر مجدداً بعد وهلة.

مثلما ذكرت من قبل، بدأت مشاعر بيورك نحو جدي أسكيلد تتغير شيئاً فشيئاً.. لم تعد قادرة على تحمل زوجها دائم الثمالة.. بدأت تشعر بالاشمئزاز من رائحته القذرة.. في حين بدأت تتملكها أحلام تنبعث من الروايات الرومانسية عن الأبطال الأطباء مساءًا.. حتى في ساعات استيقاظها صباحاً،

بدأت تسيطر عليها تلك الروايات التي ابتاعتها من متجر الكتب القريب من المنزل وبدأت تلتهمها عن آخرها كلما واتتها الفرصة لقراءتها.. ما كان من أسكيلد سوى الشعور بالازدراء والاحتقار للميول الأدبية الجديدة التي طرأت على شخصية زوجته.. كما حاول جاهداً دون جدوى جذب اهتمامها إلى الكتب الفنية وتسجيلات موسيقى الجاز.. إلا أننا لا ننكر أن بيورك قد عقدت العزم وصممت على اتجاهها في الحياة.. فهي لم تر في الطريقة التكعيبية سوى جنون زوجها.. كما لم تسمع مع موسيقى الجاز سوى أصوات كؤوس الخمر التي أدمنها زوجها شر إدمان.. كانت معركة الحياة تلك بين اهتمامات أسكيلد الثقافية وتذوق بيورك الأدبي الشائع هي النقطة الحيوية والمشكلة المحيرة التي دارت حولها علاقتهما فيما بعد.. حتى حسم الصراع بينهما نوعاً ما حينما طورت بيورك عشقها وميلها ليتخذ من أوكار المقامرة منحى حيوي في حياتها حينما تقدم بها العمر.. في المساء، حينما تسمع صوت صرير سرير أسكيلد، تستيقظ بيورك من نومها خوفاً من أن يقترب منها زوجها ويطالبها بحقوقه الشرعية.. ينفطر قلبها.. يختلج بين ضلوعها.. تشعر حقاً بالإثارة.. في تلك الأوقات النادرة الحدوث حينما يقترب منها أسكيلد، تغمض هي عينيها.. تتخيل يدين ناعمتين لطبيب تتحسسها.. تسبح بخيالها في مشهد جميل وردي اللون.. تسمع صوت موسيقى هادئة لأنشودة رومانسية حالمة.. ذلك المشهد الخلّاب الذي يزين أغلفة مجموعاتها القصصية الرومانسية لأبطالها الأطباء التي حرصت على تجميعها حتى كونت منها الآن مجموعة رومانسية كاملة.

في لحظة ما، تساءلت هل حقاً كان يسمع والدي وهو في الخامسة من عمره أصواتاً من العالم الآخر، هل حقاً هناك توارد خواطر واتصال تخاطري بينه و بين بابا ثورستون حينما كان الأخير في عالم الأموات؟ أم ن ذلك ما هو إلا روح أكبر جد في العائلة.. راسماس.. ذلك الرجل العجوز الهرم.. من رعاع نوردلاند.. الذي عاد إلى أصغر أحفاده ليهمس في أذنيه بكلام مبهم حينما ينفرد الصبي مع وحوشه في الخزانة بعدما اصطحب ذلك العجوز ابنه عبر نهر الموت.. كانت الروح تغني: الثراء على الأبواب.. ستمطر السماء مالاً وفيراً.. ستجني الذهب الكثير.. كنت أتساءل أيضاً إن كانت ترد إلى مسامع ذلك الصبي بالخزانة همسات تلك الروح عن فلسفتها وتعاليمها مثل: المهم أن تعرف نقاط ضعفك لكن الأهم أن تعرف نقاط ضعف الآخرين.. ابدأ بالهجوم.. الهجوم خير وسلة للدفاع.. لا تبادر بطرح الأسئلة.. سِل لاحقاً..الشائعات أثمن من الذهب: اغتنمها.. اغتنم الفرص أيها الحقير! هل حقاً بدأت تُسمع أصداء تلك الملحوظات في الخزانة أسفل حوض المطبخ؟ يجوز ذلك بالتأكيد.. كان جاج إيرز يستقبل تلك الهمسات في البداية في خوف وفزع.. وفي أحياناً كثيرة، في شك من أن يكون يسمع تلك الهمسات بالفعل.. لكن فيما بعد، بعدما اعتاد على صوت الروح الأجش، بدأ يتوق إلى سماع همساتها.. غناءها ونصائحها له.. يستقبل كلماتها بحب ومتعة طفولية بريئة.

بعد ميلاد آن كاترين، أصبحت الروح زائراً مستديماً في الخزانة أسفل حوض المطبخ.. حينما تتوقف الروح عن بث العناصر الأساسية لفلسفتها في أذني أصغر أحفاد راسماس.. حينما تتوقف عن غرس معتقداتها وتعاليمها في عقل الصبي الصغير، تنغمس الروح في غرس الولاء والتقدير والحنين إلى بيرجين في نفس الصبي.. تلك المدينة الذهبية التي يسعى القراصنة والمغامرون والباحثون عن الذهب للوصول إليها بفارغ الصبر ليفتحوا لأنفسهم أبواب الثراء على مصراعيها.. حتى باتت بيرجين نقطة أساسية على خريطة الكنز في عقل جاج إيرز الذي بدأ يطرح على والديه العديد من الأسئلة عن البلدة: هل صحيح أن هناك الكثير من السرطانات في البحر بالقرب من بيرجين حتى أنه من السهل عليك اصطيادها وان كنت على رصيف السفن؟ حقاً أن الجميع يصبحون أثرياء في بيرجين؟

تمتم أسكيلد قائلاً: أي نوع من الطلاسم تلك التي يتحدث عنه ذلك الصبي؟

أجابته بيورك: ربما كان ما يقوله صحيحاً يا عزيزي

بالرغم من إيعاز ونصائح شبح الماضي الذي بات يخيم على منزل أسكيلد، إلا إنه أصبح جلياً أن إقامة تلك الأسرة في ستافينجار لم تكن مثمرة قط من نواحي عديدة.. بل كانت تمطر الأسرة بالعديد من المشكلات وتؤرق صفاءها بالمحن والشدائد العظيمة.. حتى الطفلة حديثة الولادة من كانت الجانب المضيء في ستافينجار، أصبحت مبعثاً لقلق الأسرة أكثر من سعادتها.. في البداية، أصيبت الطفلة بمرض اليرقان الذي استمر يلازمها كثيراً على فترات متواصلة.. وتبعه شعورها الدائم بألم في معدتها.. حينما توقفت أخيراً صرخاتها الفظيعة من الألم، هاجمها سعال شديد عانى منه والديها معها الأمرين.. لكن حينما تم طرد أسكيلد مجدداً، وفي حالة من السُكر البيّن، صرّح أسكيلد أن ساحات السفن النرويجية غير مثمرة قط ولا تجدي نفعاً أبداً.. ما إن أدلى زوجها بذلك التصريح حتى انفجرت بيورك في ثورة عارمة.. لم تعد تطيق معه صبراً.

كما شكته لأختها لينا حينما تحدثت معها هاتفياً.. صاحت قائلة: تم طرده مجدداً! بتّ متأكدة أنني سأموت بسببه ! يا إلهي، ليتك يا أختي العزيزة تعلمين مدى معاناتي في ستافينجار! لذلك ينبغي علينا العودة مجدداً إلى بيرجين.. هل يمكنك أن تتحدثين مع فلان (×)! هل يمكن أن يتوسط زوجك لأسكيلد عند فلان (z)؟

في محاولة منها لمساعدة أختها في محنتها، أخبرت لينا زوجها بالأمر برمته، فذهب الزوج إلى ساحة السفن في بيرجين.. دخل مكتب الرئيس حيث بدأت تُثار قصة النجار مجدداً بعدما باتت في طي النسيان مع مرور سبعة أعوام كاملة.. حتى نجح زوج لينا في التوسط لأسكيلد لدى رئيس العمل في ساحة السفن كصديق حميم له.. كي يعود أسكيلد إلى عمله.. الذي حتماً لن تتأثر سمعته بالوساطة

و المحسوبية.. أما عن تصميمات السفن الخيالية، فلا شك أن النجار قد نضج بالدرجة الكافية التي تمكنه من الإقلاع عن تلك العادة.

سمع الصبي صوت الروح الأجش يتردد قائلاً: تلك المدينة الرائعة! اقتربت المدينة المدهشة من المنال.. حينما سمع جاج إيرز الحديث عن أشخاص حقيقيين في بيرجين يتحدثون عن أمور حقيقية في المدينة، حينما أدرك أن حديثه عن بيرجين قد أتى بثماره المرجوة، اندفع الصبي من داخل الخزانة.. هرول إلى الردهة حيث وجد بيورك تتلعثم في الحديث أمام زوجها الثمل وهي تمسك بورقة في يدها.

كانت تلك الورقة ما هي إلى خطاب وصل ذلك اليوم من ساحة السفن في بيرجين يدعو أسكيلد للعودة إلى عمله.

قالت بيورك لزوجها وهي غير قادرة على إخفاء شعورها بالفخر والاعتزاز بنفسها: اقرأ الخطاب فحسب.. انظر ماذا فعلت لأسرتنا؟

لكن أسكيلد رفض قبول ذلك العرض بعبارة بسيطة: شكراً جزيلاً، لم يكن أسكيلد يريد أن تساعده امرأة خداعة.. أخذت تتحدث عنه وعن مشكلاته سراً دون أن يعلم بما يجري خلف ظهره.. أخبر بيورك أنه يمكنه تدبر أموره بنفسه دون مساعدة من الآخرين.. ثم استطرد في غضب قائلاً: لما كل هذا؟ بعدما قرأ سطور الخطاب، مزقه إرباً في غضب جم.

اعترضت بيورك قائلة: لكن يا أسكيلد، لقد عُرض عليك عمل في بيرجين.. لن يمكن لأحد في مكانك وموقفك تعويضه!

صاح جاج إيرز وهو يهلل ويقفز فرحاً: بيرجين! أهل هذا صحيح؟ هل سنذهب إلى بيرجين؟

أجابته بيورك وهي تربت على رأس ابنها وتمعن النظر في وجه أسكيلد: نعم، سنذهب إلى بيرجين يا صغيري نيلز

صاح جاج إيرز بعد وهلة في الشارع: مرحا! سنرحل من هنا.. سنعود أدراجنا إلى بيرجين!

لم يكن إيقاف ذلك الصبي في ذلك الوقت أمراً ممكناً أبداً.

استمر جاج إيرز في طرح العديد من الأسئلة على والديه اللذان كانا يجهلان من أين أتى ذلك الصبي بتلك الأفكار التي استحوذت تماماً على عقله.. استمر الصبي في الثرثرة قائلاً: هل صحيح أننا سنصطاد سرطانات من بيرجين؟ الأطنان من السرطانات؟

واستطرد متسائلاً: هل سنصبح حقاً أثرياء الآن؟ فأجابته بيورك: حسناً، يجب أن نتوقف ملياً للنظر في ذلك الأمر، أنت تعلم كيف يجني والدك المال، لكن حماسة جاج إيرز كانت عظيمة.. لم

يمكن ردعها أو قمعها بأي مشكلة من الأشكال.. في حين شعر الكثير بالخوف والرعب من عودة الأسرة إلى الشقة في سكانسن بعد غياب دام سبعة أعوام في المنفى بعيداً عن البلدة.

قالت ماما راندى التي زاد وزنها نحو 20 كيلوجرامات منذ أن ذهب ابنها إلى أوسلو: بحق السيدة العذراء! ستعودان إلى البلدة مجدداً! إنه لخبر سار حقاً أن تعودان بهذه السرعة! سرعان ما اصطف الجميع لاستقبال وتقبيل أفراد الأسرة: جاج إيرز الذي قوبل بالدغدغة والمداعبات الحميمة.. بيورك التي شعرت بسعادة عارمة تسري كالدم في العروق للعودة إلى بلدتها.. و أسكيلد الذي علت ملامح وجهه علامات الإرهاق والتعب.. واليأس في ذات الوقت.. ثم جاء مهرولاً نحو الباب.. أبلهيد.. من كان وقتئذ في الخامسة عشر من عمره ولديه زغب على شفته العليا، قائلاً: مرحباً يا خالي! مرحباً يا ابن خالي! مرحباً يا زوجة خالي! هل رأيتم دراجتي الجديدة؟ تعالوا وسأريكم إياها!

تأوه بابا نيلز من كرسيه الهزاز قائلاً: على رسلكم جميعاً.. ثم أضاف بعد وهلة: حسناً، أنا أعرف تلك النبرة.. سأُطرد إلى المطبخ مجدداً.